

**الكتاب الجامع للفضائل**

(32)

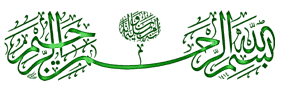
[](http://www.alukah.net/)

فضل

أهل العلم والحديث

**للشيخ**

**ندا أبو أحمد**



**فضل أهل العلم والحديث**

**إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد الله ُفلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.**

**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾** (آل عمران: 102)

**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾** (النساء:1)

**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾** (الأحزاب:70-71)

**أما بعد....**

**فإن أصدق الحديث كتاب الله ــ تعالى ــ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.**

نبض الرسالة

**فضل ومكانة أهل العلم والحديث**

**أولًا: فضل ومكانة أهل العلم:**

**الأدلة القرآنية على شرف ومكانة أهل العلم:**

1- شرف العلماء:

2- أهل العلم أعلم الناس بحقائقِ الأمور، بخلاف أهل الجهل فهم بمنزلة العُميان:

3- أهل العلم أصحاب بصيرة:

4- أهل العلم يرفعهم الله -عز وجل- على الناس درجات في الدنيا والآخرة:

5- العلم يجعل صاحبه إماما للناس يأخذ بنواصيهم إلى مرضاة الله -عز وجل-:

6- لا يستوي أهل العلم بغيرهم في الفضل والمكانة:

7- العلماء هم الصديقون:

8- أهل العلم أكثر الناس خشية لله:

9- أهل العلم يُنِير الله بصائرهم، ويجعلهم حجةً على المعاندين المكذبين:

10- أهل العلم اصطفاهم الله وجعلهم أئمة يهدون الناس إلى طريق الحق:

11- أهل العلم طوق النجاة للناس في زمن الفتن وانتشار الجهل:

12- أهل العلم هم أولو الأمر الذين أوجب الله طاعتهم:

13- أهل العلم يُنِير الله بصائرهم، ويجعلهم حجةً على المعاندين المكذبين:

14- أهل العلم أكثر الناس تفكرًا وتدبرًا، فينتفعون بالحجج والبراهين التي يضربها الله- تعالى- للناس:

15- أهل العلم اختصهم الله بالحكمة والفقه في الدين، وهذه مِنَّة من الله يُعطيها لمن يحب:

16- أهل العلم يجاهدون في سبيل الله بالحجة والبيان:

17- أهل العلم يمدحهم الله -عز وجل- ويثني عليهم:

18- الناس أموات وأهل العلم أحياء:

19- أهل العلم يمنحهم الله -تعالى- المعرفة والنور وبهما يفرقون بين الحق والباطل، فلا يحيدون عن الصراط المستقيم:

20- أهل العلم أكثر الناس استجابة لأوامر الله، وأكثر الناس انتفاعا بها:

21- أهل العلم يحييهم الله حياة طيبة:

**الأدلة من السنة النبوية على فضل وشرف ومكانة العلماء.**

1- الخلائق كلها تدعو لأهل العلم ومعلمي الناس الخير:

2- أهل العلم عدول:

3- أهل العلم حُرَّاس الدين، وحُماته من الابتداع والتحريف:

4- أهل العلم حريصون على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم:

5- أهل العلم ورثة الأنبياء:

6- أهل العلم عصمة للأمة من الضلال:

7- أهل العلم مفاتيح للخير مغاليق للشر:

8- أهل العلم صمام أمان للأمة

9- وصية النبي**-**صلى الله عليه وسلم- بأهل العلم:

10- أهل العلم ينفعون أنفسهم وينتفع بهم غيرهم:

11- من أراد الله به خيرا فقهه في الدين، وفتح له طريقا لطلب العلم:

12- أهل العلم بمنزلة المجاهدين في سبيل الله:

13- أهل العلم العاملون بأفضل المنازل عند الله -عز وجل-:

14- أهل العلم هم أولياء الله -تعالى-:

15- أهل العلم بمنزلة الحُجاج الذين تمت حجتهم:

16- أهل العلم دعا لهم النبي **-**صلى الله عليه وسلم- بنضارة الوجه:

17- أهل العلم ثوابهم عظيم، وأجرهم مضاعف:

18- أهل العلم يباهي اللهُ بهم الملائكة:

19- أهل العلم المجتهدون يؤويهم الله ولا يعرض عنهم:

20- أهل العلم يغبطون على نعمة العلم:

21- أهل العلم مدحهم النبي وأثنى عليهم:

22- أهل العلم العاملون به والمعلمون غيرهم، لا ينقطع أجرهم بعد موتهم:

23- أهل العلم يسهل الله لهم طريقًا إلى الجنة:

**كلام السلف عن فضل وشرف ومكانة العلماء:**

**ثانيًا: فضل شرف أهل الحديث**

1- أهل الحديث هم الطائفة المنصورة:

2- أصحاب الحديث أولى الناس بالرسول-صلى الله عليه وسلم- لدوام صلاتهم عليه:

3-أصحاب الحديث ورثة الرسول-صلى الله عليه وسلم- فيما خلفه من السنة وأنواع الحكمة:

4-أصحاب الحديث أمناء الرسول-صلى الله عليه وسلم- لحفظهم السنن وتمييزهم لها:

5- وهم المدافعون عن الدين وحرّاسه:

6- إذا اجتمع أهل الحديث على حديث فهو حجة على الناس:

7- لولا أهل الحديث لا ندرس الإسلام:

8- أصحاب الحديث خيار الناس:

9- أصحاب الحديث هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر:

10- أهل الحديث جازوا شرف الدنيا وكرامة الأخرة:

**فضل الإسناد وأنه مما خص اللهُ به هذه الأمة**

1- بشارة النبي- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه واتصال الإسناد بينهم وبينه:

2- الحديث سبيل إلى معرفة الأحكام الشرعية:

**وتتمة للفائدة نذكر خطر الطعن في العلماء، والنيل منهم:**

**عاقبة وشؤم من يطعن في العلماء:**

1- استجلب بفعله أخبث الأوصاف:

2- من طعن في العلماء فهو من شرار الخلق بشهادة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

3- من عادى العلماء وطعن فيهم فهو عرضة لحرب الله - تعالى- عليه:

4- متعرض لاستجابة دعوة العالِمِ المظلوم عليه:

5- الطاعن في العلماء يتبرأ من فعله النبي -صلى الله عليه وسلم-:

6- الطاعن في العلماء غير معظم لله -عز وجل-:

7- سيعاقب من جنس فعله:

8- الطاعن في العلماء سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها:

9- الطاعن في العلماء يعاقب بموت القلب:

**من مخاطر الطعن في العلماء:**

1- أن القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من الشرع والدين:

2- التسبب إلى تعطيل الانتفاع بعلمهم:

فضل ومكانة أهل العلم والحديث

مقدمة:

**يقول معاذ بن جبل:" تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاق، والقرب عند الغرباء. يرفع الله به أقواما. فيجعلهم في الخلق قادة يقتدى بهم، وأئمة في الخلق تقتفى آثارهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في حبهم بأجنحتها تمسحهم، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباعُ البر وأنعامه، والسماء ونجومها، لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأحرار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والفكر به يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يُطاع الله وبه يعبد الله وبه توصل الأرحام وبه يُعرف الحلال من الحرام، إمام العمل والعمل تابعه، يُلهمه السعداء، ويُحرمه الأشقياء"**.

(أخلاق العلماء للآجري) (تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة صــ70)

**ويقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه " أعلام الموقعين: 1/9 ":**

العلماء هم أئمة الأنام، وزَوامِل([[1]](#footnote-1)**)** الإسلام، الذين حفظوا على الأمة معاقد الدين ومعاقله، وحموا من التغيير والتكدير موارده ومناهله، الذين قال فيهم الإمام أحمد -رحمه الله-"يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه ". أهــــ

فالعلماء كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فليس لهذين من خلف أومنهما من عوض. فهم صفوة البشر، وخيرة الله من خلقه.

**ومما ينسب لأمير المؤمنين عليّ قوله:**

الناسُ من جهة التمثيل إكفَّاءُ أبُوهــُــــــــــــــــــــم آدمٌ والأمُّ حَــــــــــوَّاءُ

نفـــــسٌ كنفسٍ وأرواحٍ مُشَاكلــــــــةٌ وأعْظُمٌ خلقــــــت فيهم وأعضاء

فإن يكن لهمُ من أصلهم نسبٌ يفاخــــــرون به فالطينُ والمـــــاءُ

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدِلاءُ

وقَدْرُ كُلِّ أمريء ما كان يحسنه والجاهـــــــلون لأهل العلم أعداءُ

ففز بعلــــــم تعش حيــــا به أبــــــدا الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

أولًا: فضل ومكانة أهل العلم:

قد تواردت الأدلة القرآنية والسنة النبوية على فضل ومكانة وشرف العلماء.

الأدلة القرآنية على شرف ومكانة أهل العلم:

1-شرف العلماء:

**قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمًَا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾** (آل عمران:18)

**يقول القرطبي-رحمه الله- في تفسيره:4/41:** وهذه الآية دليل علي فضل العلم وشرف العلماء، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته

**ويقول ابن القيم -رحمه الله- كما في مفتاح دار السعادة: 1/219":**

وهذه الآية تدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

1- استشهادهم دون غيرهم من البشر.

2- اقتران شهادتهم بشهادتِهِ سبحانه.

3- اقترانُها بشهادة الملائكة.

4- إنَّ في ضمن هذا: تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول، وقد جاء في الحديث:" **يحملُ هذا العلمَ من كل خَلَفٍ عُدُولُهُ، ينفونَ عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين".**

(رواه البزار وابن عدي في الكامل، وابن أبي حاتم وصححه الألباني)

5- أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجلُّ شاهد، ثم بخيار خلقه وهم ملائكتُهُ والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلا وشرفا.

6- أنه استشهد بهم على أجلِّ مشهودٍ به وأعظمه وأكبره، وهو شهادةُ أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابرَ الخلقِ وساداتِهم. أهـ بتصرف واختصار

**وقال السعديُّ -رحمه الله- في تفسيره عند الآية السابقة:**

في هذه الآية فضيلةُ العلم والعلماء، لأن الله خصَّهم بالذكر، من دون البشر، وقَرَن شهادتهم بشهادتِه، وشهادة الملائكة، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيدهِ ودينه وجزائه، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة. وفي ضمن ذلك: تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنهم هم الأئمة المتبوعون، وفي هذا من الفضل والشرف، وعُلو المكانة، ما لا يُقادَرُ قَدْره ". أهـ

**ومما يدل على هذا أيضا قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾** (الرعد: 43)

فهذه الآية تدل أيضًا على شرف وفضل العلماء حيث قَرَن الله تعالى شهادته بشهادتهم على صدق بعثه الرسول **ﷺ**.

2- أهل العلم أعلم الناس بحقائقِ الأمور، بخلاف أهل الجهل فهم بمنزلة العُميان:

**قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾** (الرعد: 19)

**يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في مفتاح دار السعادة: 1 /222:**

"جعل الله أهلَ الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون، فقال تعالى: **﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾** فما ثم إلا عالم أو أعمى، وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صُمٌ بُكْمٌ عُميٌ في غير موضع من كتابه ". أهـ

**وقال السعدي -رحمه الله-: " في تفسيره " تيسير الكريم الرحمن صــ371":**

" يقول تعالى مفرقًا بين أهلِ العلمِ والعملِ وضدهم: **﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ﴾** ففهم ذلك، وعمل به **﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾** لا يعلم الحق، ولا يعمل به، فبينهما من الفرق، كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر، أي الفريقين أحسن مآلا، وخير حالا، فيؤثر طريقها، ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره. **﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾** أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لب العالم، وصفوة بني آدم.

**قال سابق البربري في قصيدة له:**

والعلمُ يجلو عن قلبِ صاحبِهِ كما يُجلِي سوادَ الظلمَةِ القمرُ

وليس ذو العلمِ بالتقوى كجاهِلِها ولا البصِيرُ كأعمَى مالَهُ بصرُ

**والله تعالى سلَّى نبيه بإيمان أهل العلم به وأمره ألا يعبأ بالجاهلين شيئا**

**قال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا \* قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾** (الإسراء:106- 108)

**وهذا شرف عظيم لأهل العلم**

3- أهل العلم أصحاب بصيرة:

**قال تعالى:** **﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾** (يوسف:108)

فالعلماء هم أصحاب البصيرة الذين أوتوا الحكمة، فهم يقضون بها، ويعلِّمونها للناس، وبهذه البصيرة يتفرسون ويَسْتَشِفُون عواقب الأمور، فهم يرون الفتنة وهم مقبلة، والناس يرونها وهي مدبرة.

4- أهل العلم يرفعهم الله -عز وجل- على الناس درجات في الدنيا والآخرة:

**قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾** (المجادلة: 11)

**قال القرطبي:-رحمه الله-: في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن: 17/285":** وقوله تعالى: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** أي: في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع الله المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم. وقال ابن مسعود مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى: أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم **﴿دَرَجَاتٍ﴾** أي: درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به ". أهـ

**ويقول ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه الفوائد ص138":** أفضل ما اكتسبته النفوسُ وحصلته القلوبُ، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾** (الروم: 56) وقوله: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** (المجادلة: 11). أهـ

* **ومما يدل على رفعة أهل العلم:**

**ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عمرَ بن الخطاب" أن نافع بن عبد الحارث الخزاعي لقيه بعُسْفَانَ، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: مَنْ استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابنُ أبزى؟ قال مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى. قال: إنه قارئٌ لكتاب الله وإنه عالمٌ بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين ".**

**وقال الحجاج لخالد بن صفوان:"** من سيد أهل البصرة؟ فقال له: الحسن. فقال الحجاج: وكيف ذلك وهو مولى؟ فقال: احتاج الناس إليه في دينهم واستغنى عنهم في دنياهم، وما رأيت أحدًا من أشراف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول في حلقته إليه ليستمع قوله، ويكتب علمه. فقال الحجاج: هذا والله السؤدد ".

**ويقول أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي:**" كان عطاءُ([[2]](#footnote-2)**)** بنُ أبي رباحٍ عبدًا أسودًا لامرأة من أهل مكة، وكان أنفُهُ كأنه باقِلاةٌ ([[3]](#footnote-3)**)**. قال: وجاء سليمانُ بنُ عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاءٍ، هو وابناهُ، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى أنفتل إليهم فما زالوا يسألونُه عن مناسِكِ الحج، وقد حول قفاه إليهم، ثُم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما. وقال: يا بني، لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود ". (الفقيه والمتفقة للخطيب البغدادي:1/31)

**وقال محمد بن القاسم بن خلاد:**" كان الأوقصُ([[4]](#footnote-4)**)** قصيرًا دميمًا قبيحًا، قال: فقالت لي أمي، وكانت عاقلة: يا بُني، إنك خُلقت خِلقةً لا تَصلُحُ لمعاشرةِ الفتيانِ، فعليك بالدينِ، فإنه يتم النقِيصة، ويرفعُ الخسِيسة، فنفعني الله بقولها، وتعلمتُ الفقهَ، فصرت قاضيًا ". (الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي:1/32)

**وقال أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي:**" كان عنق محمد بن عبد الرحمن الأوقص داخلا في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زوجان([[5]](#footnote-5)**)**، فقالت له أمه: يا بني لا تكون في قومٍ إلا كنت المضحوكَ منهُ، المسخور بهِ، فعليك بطلبِ العلم فإنه يرفعُك. قال: فطلبَ العلمَ. قال: فولى قضاءَ مكةَ عشرينَ سنة، وكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعدُ حتى يقوم ".

**قال الشافعي -رحمه الله- في ديوانه ص153:**

رأيت العلمَ صاحبُه شريفٌ وإن ولدـتــــــــه آبـــــــــاءٌ لئــــامُ

وليس يزال يرفعُهُ إلى أن يُعظم قـــــــدَرَه القومُ الكــــــرامُ

ويتبعونــــــه في كل أمــــــــــر كراعِ الضأنَ تتبعه السوامُ ([[6]](#footnote-6)**)**

ويحمل قوله في كل أمــــــر ومن يكُ عالمًا فهو الإمامُ

فلولا العلم ما سعدت نفوس ولا عرف الحلال ولا الحرامُ

فبالعلم النجاة من المخازي وبالجهل المذلــــــة والرغــــــــامُ

هو الهادي الدليل إلى المعالي ومصباحٌ يضئُ به الظلامُ

كذاك عنِ الرسولِ أتى عليه مـــــــن الله التحيـــــةُ والســــــلامُ

(جامع بيان العلم: 1/54)

فبهذا العلم رفع الله به أقواما، وجعلهم في الخير قادة وسادة يقتدي بهم، أدلة في الخير تقتفي آثارهم، تحفهم الملائكة بأجنحتها، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه.

5- العلم يجعل صاحبه إماما للناس يأخذ بنواصيهم إلى مرضاة الله -عز وجل-:

**قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾** (الأنعام: 83)

**وقال السعدي -رحمه الله- في تفسيره ص225:**" وقوله تعالى: **﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾** أي: علا بها عليهم، وفَلَجَهُم بها. **﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء﴾**، كما رفعنا درجات إبراهيمفي الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات، خصوصا: العالمَ، العاملَ، المعلمَ، فإنه يجعله اللهُ إمامًا للناسِ، بحسب حاله، تُرِمَقُ أفعالُهُ، وتُقْتَفى آثارُهُ، ويُستضاء بنورِه، ويُمشي بعلمه في ظُلمة ديجوره.وقوله تعالى **﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم﴾** فلا يضع العلم والحكمة إلا في المحل اللائق بهما، وهو أعلم بذلك المحل وبما ينبغي له ". أهـ

6- لا يستوي أهل العلم بغيرهم في الفضل والمكانة:

**قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾** (الزمر: 9)

**يقول ابن القيم أيضًا -رحمه الله- في كتابه" مفتاح دار السعادة: 1/172":**

" إنَّ الله سبحانه نفى التسوية بين العالم وغيره، كما نفى التسوية بين الخبيث والطيب، وبين الأعمى والبصير، وبين النور والظلمة، وبين الظل والحَرُور([[7]](#footnote-7)**)**، وبين أصحاب الجنة، وأصحاب النار، وبين الأبكم العاجز الذي لا يقدر على شيء، ومن ويأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وبين المؤمنين والكافرين، وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الأرض، وبين المتقين والفجار، فهذه عشرة مواضع في القرآن نهى فيها التسوية بين هؤلاء الأصناف، وهذا يدل على أن منزلة العالم من الجاهل كمنزلة النور من الظلمة، والظل من الحرور، والطيب من الخبيث، ومنزلة كل واحد من هذه الأصناف مع مقابله ". أهــ

**ويقول الشاعر:**

أهلًا وسهلًا بالذيـــــن أحبــــُّـهم وأودُّهـــــم في الله ذي الآلاء

أهلا بقوم صالحين ذوي تقي غر الوجوه وزين كل مــــــلاءِ

ومدادُ ما تجري به أقلامهم أزكى وأفضل من دم الشهداءِ

يا طالبي علم النبي محمد ما أنتـــــــم وســــــواكم بســــــــــواءِ

**وقال السعدي -رحمه الله-: في تفسيره ص666:**

**﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾** ربهم ويعلمون دينه الشرعي، ودينه الجزائي وما له في ذلك؟ من الأسرار والحكم، **﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، ولا الضياء والظلام، والماء والنار. **﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾** إذا ذكروا **﴿أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾** أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولا، ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه. أهـ

7- العلماء هم الصديقون:

**قال تعالى:** **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾** (الحديد:19)

فالصديقون هم العلماء أتباع الرسل، ودرجتهم أعلى الدرجات بعد النبوة، والصديقية هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول علمًا وتصديقاٍ وقيامًا به، فهي راجعة إلى نفس العلم، فالصديقية شجرة أصلها العلم، وفروعها التصديق، وثمرتها العمل.

8- أهل العلم أكثر الناس خشية لله:

**قال تعالى:** **﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾** (فاطر:28)

**يقول عبد الله بن مسعود:**" كفى بخشية الله علما، وكفى بالاغترار جهلًا ".

فالعلم يُعظِّمُ مقام الله- تعالى- في نفوس العلماء فتراهم أكثر الناس خشية من الله

**ويقول السعدي-رحمه الله- في تفسير الآية السابقة صــ635:"** فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، **كما قال تعالى:** **﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾** (البينة: 8) ". أهـ

* **فالعلم يورث خشية الله -عز وجل- لذا تجد أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله:**

**قيل للشعبي -رحمه الله-:**" يا عالم، فقال:" إنما العالم من يخشى الله ".

**وجاء في كتاب العلم لزهير بن حرب(9)عن مسروق -رحمه الله- أنه قال:**" بحسب الرجل من العلم أن يخشى الله ، وبحسب الرجل من الجهل أن يُعْجب بِعِلْمه ".

فالعلماء هم أشد الناس خشية لله وأحقهم بها، فهم العارفون به سبحانه، وكلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، فكلما كانت المعرفة به أتم، والعمل به أكمل، والخشية له كانت أعظم وأكثر.

**يقول الحسن البصري -رحمه الله-:"**العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، ثم تلا الحسن البصري **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ".**

**فثمرة العلم هي الخشية من الله:**

**وقد روي عن ابن عمر-رضي الله عنهما-أنه قال:" وأهل العلم النافع كلما ازدادوا في هذا العلم ازدادوا تواضعا لله، وخشية وانكسارًا وذلًا ".**

**يقول الإمام أحمد عن معروف الكرخي -رحمه الله-:"** معه أصل العلم؛ خشية الله ". أهـ

فأصل العلم؛ العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والأنس به، والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد، فمن تحقَّق بهذين العلمين كان علمه علما نافعا، وحصل له العلم النافع، والقلب الخاشع، والنفس القانعة والدعاء المسموع.

ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي ﷺ([[8]](#footnote-8)**)** وصار علمه وبالًا وحجة عليه، فلم ينتفع به لأنه لم يخشع قلبه لربه، ولم تشبع نفسه من الدنيا، بل ازداد عليها حرصًا ولها طلبًا، ولم يُسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه، وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه.

هذا إن كان علمه علمًا يمكن الانتفاع به وهو المتلقي من الكتاب والسنة، فإن كان مُتلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه ولا يمكن الانتفاع به بل ضرّه أكثر من نفعه. (ذم الجهل وبيان قبيح أثره صــ187-188)

**قال الحسن البصري -رحمه الله-:**

" العلم علمان:فعلمٌ على اللسان؛ فذاك حُجَّة الله على ابن آدم، وعلمٌ في القلب فذاك العلم النافع ".

**وقال الحسن أيضا-رحمه الله-:**

" إنما الفقيه؛ الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المواظب على عبادة ربه- وفي رواية عنه قال: الذي لا يحسد من فوقه، ولا يسخر ممن دونه، ولا يأخذ على علمٍ أجرًا ". أهــ

فالإنسان كلما ازداد معرفة بربه وعلمًا به ازداد منه خشية ومحبة، وازداد له ذلًا وانكسارًا.

**يقول بعض السلف:**" ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعا لربه ".

9- أهل العلم يُنِير الله بصائرهم، ويجعلهم حجةً على المعاندين المكذبين:

**قال تعالى: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾** (سبأ: 6)

**قال ابن القيم -رحمه الله-: كما في "مفتاح دار السعادة:1/222":**" أخبر- سبحانه-عن أولي العلم بأنهم يرون ما أُنزل إليه من ربه حقا، وجعل هذا ثناءً عليهم واستشهادا بهم ".

**وقال السعدّيُ -رحمه الله- في تفسيره ص621:** " لما ذكر الله إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهلُ العلم، وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار، هو الحق، منحصر فيه، وما خالفه وناقضه فإنه باطلٌ، لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين ".

وهذه منقبةٌ لأهلِ العلم وفضيلةٌ، وعلامةٌ لهم، وأنه كلما كان العبدُ أعظم علمًا وتصديقًا بأخبار ما جاء به الرسول ﷺ، وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حُجةً على ما جاء به الرسول ﷺ واحتج الله- تعالى- بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية، وغيرها ". أهـ باختصار

ويشبه الآية السابقة قوله تعالى: **﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** (الأنعام: 114)

**يقول ابن القيم -رحمه الله-كما في " مفتاح دار السعادة:1/222":**

" شهد الله تعالى لأهل العلم شهادة في ضمنها الاستشهاد بهم على صحة ما أنزل الله على رسوله ". أهـ

10- أهل العلم اصطفاهم الله وجعلهم أئمة يهدون الناس إلى طريق الحق:

**قال تعالى:** **﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾** (السجدة:24)

**قال العلامة السعدي-رحمه الله- في تفسيره:**" وقوله: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾** أي علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أُنزل إليهم: هدى، والمؤمنون به منهم، على قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم.

والقسم الأول: أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين. وإنما نالوا هذه الدرجة العالية **﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾** على التعلم والتعليم، والدعوة إلي الله والأذى في سبيله، وكفوا نفوسهم عند جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات. **﴿وَكَانُوا** **بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** أي وصلوا في الإيمان بآيات الله إلي درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل. وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك. فبالصبر واليقين، تُنَال الإمامة في الدين ". أهــ

11- أهل العلم طوق النجاة للناس في زمن الفتن وانتشار الجهل:

**قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾** (النحل: 43)

**وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾** (الأنبياء: 7)

**قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره 10/114":"** قال ابن عباس- رضي الله عنهما-:" أهلُ الذكرِ: أهلُ القرآن". وقيل: أهل العلم، والمعني متقارب.

**وقال السعدي في" تفسيره صــ394"**:" يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا﴾** أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملائكة، بل رجالا كاملين لا نساء **﴿نُّوحِي إِلَيْهِم ﴾** من الشرائع والأحكام، ما هو من فضله وإحسانه على العبيد، من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم، **﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْر﴾** وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأنه بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال ". أهــ

12- أهل العلم هم أولو الأمر الذين أوجب الله طاعتهم:

**قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾** (النساء:59)

المقصود بأولي الأمر: الأمراء والعلماء الربانين.

**يقول ابن عباس- رضي الله عنهما- كما في" مستدرك الحاكم: 1/123":**

**" وأولو الأمر: هم أهل الفقه والدين وأهل طاعة الله، الذين يعلمون الناس معاني دينهم، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، فأوجب الله سبحانه طاعتهم على عباده ".**

**ويقول جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-:" هم أهل القرآن والعلم ".**

**وقال مجاهد-رحمه الله-:**" هم الفقهاء والعلماء، ومثله مروي عن النخعي ".

**ويقول ابن القيم-رحمه الله-:**" هذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم ". (مفتاح دار السعادة:1/49)

**ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى: 28/170:"** أولو الأمر: هم أصحاب الأمر وذوه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم والبيان، فلهذا كان أولو الأمر صنفين؛ العلماء والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس ". اهـ

**ويقول ابن القيم-رحمه الله- في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين: 1/10واصفًا العلماء:"** هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء([[9]](#footnote-9)**)** بنص الكتاب، **قال تعالى**: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾** (النساء:59)

* **والله تعالى أمرنا بسؤال العلماء والرجوع إلى أقوالهم**

**قال تعالى:** **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** (النحل:43)

وأهل الذكر هم: أهل العلم بما أنزل الله على الأنبياء

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في" مجموع الفتاوى:11/551":"** وقد كان النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون يسوسون الناس في دينهم ودنياهم ثم بعد ذلك تفرقت الأمور، فصاروا أمراء الحرب يسوسون الناس في أمر الدنيا والدين الطاهر، وشيوخ العلم يسوسون الناس فيما يرجع إليهم من العلم والدين، وهؤلاء أولى الأمر، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به من طاعة الله التي هم أولوا أمرها ". اهـ

13- أهل العلم يُنِير الله بصائرهم، ويجعلهم حجةً على المعاندين المكذبين:

**قال تعالى: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾** (سبأ: 6)

**قال ابن القيم -رحمه الله-: كما في "مفتاح دار السعادة:1/222":**" أخبر- سبحانه-عن أولي العلم بأنهم يرون ما أُنزل إليه من ربه حقا، وجعل هذا ثناءً عليهم واستشهادا بهم ".

**وقال السعدّيُ -رحمه الله- في تفسيره ص621:** " لما ذكر الله إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهلُ العلم، وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار، هو الحق، منحصر فيه، وما خالفه وناقضه فإنه باطلٌ، لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين.

وهذه منقبةٌ لأهلِ العلم وفضيلةٌ، وعلامةٌ لهم، وأنه كلما كان العبدُ أعظم علمًا وتصديقًا بأخبار ما جاء به الرسول ﷺ، وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حُجةً على ما جاء به الرسول **ﷺ** واحتج الله- تعالى- بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية، وغيرها ". أهـ باختصار

ويشبه الآية السابقة قوله تعالى: **﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** (الأنعام: 114)

**يقول ابن القيم -رحمه الله-كما في " مفتاح دار السعادة:1/222"**

" شهد الله تعالى لأهل العلم شهادة في ضمنها الاستشهاد بهم على صحة ما أنزل الله على رسوله ". أهـ

14- أهل العلم أكثر الناس تفكرًا وتدبرًا، فينتفعون بالحجج والبراهين التي يضربها الله- تعالى- للناس:

**قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾** (العنكبوت: 43)

**يقول ابن القيم -رحمه الله- في " مفتاح دار السعادة:1/ 226" في هذه الآية:**

" أخبر سبحانه عن أمثاله التي يضربها لعباده، ويدلهم على صحة ما أخبر به، أن أهل العلم هم المنتفعون بها المختصون بعلمها، وفي القرآن بضعةٌ وأربعون مثلا، وكان بعض السلف (سنان بن عمرو بن مُرة) إذا مر بمثل لا يفهمه يبكي ويقول: لستُ من العالمين ". أهـ بتصرف

**وقال ابن كثير في تفسيره: "3/683":**

" ومعنى الآية وما يفهمُها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه ". أهـ

15- أهل العلم اختصهم الله بالحكمة والفقه في الدين، وهذه مِنَّة من الله يُعطيها لمن يحب:

**قال تعالى: ﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ** (**[[10]](#footnote-10))مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾** (البقرة: 269)

**قال في "عمدة التفسير:2/181":**" وفي قوله تعالى: **﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾** يقول ابن عباس- رضي الله عنهما-: يعني المعرفة بالقرآن، ناسخِه ومنسوخِه، ومحكمِه ومتشابهِهِ، ومقدمِه ومؤخِره، وحلاله وحرامِه وأمثالِه. وقال مجاهد-رحمه الله-: **﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾** ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن. وقال مالك: إنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ". أهــ

**وقال ابن القيم -رحمه الله- في" مفتاح دار السعادة:1/227":**" شهد الله سبحانه لمن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيرًا كثيرًا، فقال تعالى: **﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** قال ابن قتيبة والجمهور: الحكمة: إصابة الحق، والعمل به، وهي العلم النافع والعمل الصالح ". أهـ

**قال السعدي -رحمه الله- في" تفسيره: صـ95":**" والحكمة هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات، ولهذا قال: **﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع في دينهم ودنياهم.

وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة التي هي وضع الأشياء في مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام. ولكن، ما يتذكر هذا الأمر العظيم، وما يعرف قدر هذا العطاء الجسيم **﴿إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾** وهم أهل العقول الوافية، والأحلام الكاملة، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه، والضار فيتركونه ". أهـ

16- أهل العلم يجاهدون في سبيل الله بالحجة والبيان:

فالجهاد نوعان: الأول: جهاد باليد واللسان، وهذا يشترك فيه الكثير. الثاني: جهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهم العلماء، وهو أفضل الجهادين، يعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه.

**قال تعالى:** **﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾** (الفرقان: 52)

**يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" زاد المعاد:3/58" في حديثه عن الآية السابقة:**

" ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجة، فأمر به في مكة بقوله **﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾** أي: بالقرآن. **﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾** فهذه سورة مكية والجهاد فيها هو: التبليغ وجهاد الحجة ". أهـ

فجهاد السيف الكل يحسنه، أما جهاد الحجة والتبليغ والبيان لا يحسنه إلا قلة من أتباع النبي ﷺ وهو أكبر الجهادين، وهو أيضًا جهاد المنافقين **وقد قال رب العالمين في كتابه الكريم:** **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾** (التوبة: 73) ومعلوم أن المنافقين كانوا في الظاهر مع المسلمين، فعلم أن جهادهم يكون بالحجة والقرآن"

**وقال شيخ الإسلام-رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى 18/284:**

**وهكذا قوله تعالى:** **﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** (النحل: 110)

يدخل في معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه، أو أوقعه في معصية، ثم هجر السيئات، وجاهد نفسه وغيرها من العدو، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك، وصبر على ما أصابه من قول أو فعل والله- سبحانه وتعالى- أعلم. أهـ

**ومما يدل على أن العلم جهاد في سبيل الله:**

**ما أخرجه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " من جاء مسجدي، هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه، أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره ".** (صحيح الجامع: 6184)

**ومما يدل أيضا على أن طلب العلم جهاد في سبيل الله** **قوله تعالى:** **﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾** (التوبة: 122)

**قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "مفتاح دار السعادة 1/237":**" ندب الله تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين، وهو تعلمه، وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، وهو التعليم. وقد اختلف في الآية، فقيل: المعنى: أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم، بل ينبغي أن ينفروا من كل فرقة منهم طائفة، تتفقه تلك الطائفة ثم ترجع تعلم القاعدين، فيكون النفير على هذا نفير تعلم ".

وقالت طائفة أخرى: المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي أن تنفر طائفة للجهاد، وفرقة تقعد تتفقه في الدين، فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فَقَّهَتْها القاعدةُ وعلمَتْها ما أنزل من الدين والحلال والحرام.

وعلى هذا فالنفيرُ نفيرُ جهادٍ على أصلهِ، فإنه حيث استعمل إنما يُفهم منه الجهادُ، **قال الله تعالى:** **﴿ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾** (التوبة: 41)، وقال النبي ﷺ: **" لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"**(رواه البخاري ومسلم). وهذا هو المعروف من هذه اللفظة. وعلى القولين فهو ترغيب في التفقه في الدين، وتعلمه، وتعليمه، فإن ذلك يعدل الجهاد، بل ربما يكونُ أفضل منهُ ". أهـ

17- أهل العلم يمدحهم الله -عز وجل- ويثني عليهم:

**قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾** (العنكبوت: 49)

**يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه مفتاح دار السعادة: 1/223:**

" مدح سبحانه أهل العلم، وأثنى عليهم، وشرَّفهم بأن جعل كتابَه آياتٍ بيناتٍ في صدورهم، وهذه خاصيِّةٌ ومَنْقَبَةٌ لهم دون غيرهم. وسواءٌ كان المعنى أنَّ القرآنَ مستقرٌ في صدور الذين أوتوا العلمَ، ثابتٌ فيها، محفوظٌ، وهو في نفسه آياتٌ بيناتٌ، فيكون قد أخبر عنه بخبرين: **أحدهما:** أنه آياتٌ بيناتٌ. **الثاني:** أنه محفوظٌ، مستقرٌ، ثابتٌ في صدور الذين أوتوا العلمَ. **أو كان المعنى:** أنَّه آياتٌ بيناتٌ في صدورهم، أي: كونُهُ آياتٍ بيناتٍ معلومٌ لهم، ثابتٌ في صدورهم، والقولان متلازمان، ليسا بمختلفين. وعلى التقديرين: فهو مدح لهم، وثناء عليهم، في ضمنه الاستشهاد بهم ". أهــ

**وكذلك استشهد الله- تعالى- بأهل العلم يوم القيامة على بطلان قول الكفار:**

**قال تعالى:** **﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾** (الروم:55-56)

18- الناس أموات وأهل العلم أحياء:

**قال تعالى:** **﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾**  (الملك:10-11)

**يقول ابن القيم -رحمه الله-: في كتابه" مفتاح دار السعادة: 1/245":**

" إن الله سبحانه وصف أهل النار بالجهل، وأخبر أنه سد عليهم طرق العلم، فقال تعالى حكاية عنهم: **﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾** فأخبروا أنهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون. والسمع والعقل هما أصل العلم وبهما ينال، **وقال تعالى:** **﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾** (الأعراف: 179)، فأخبر سبحانه أنهم لم يحصل لهم علم من جهة من جهات العلم الثلاث، وهي: العقل والسمع والبصر، كما قال تعالى في موضع آخر: **﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾** (البقرة: 17)

فقد وصف الله أهل الشقاء كما ترى بعدم العلم وشبههم بالأنعام تارة، وتارة بالحمار الذي يحمل الأسفار، وتارة جعلهم أضل من الأنعام، وتارة جعلهم شر الدواب عنده، وتارة جعلهم أمواتا غير أحياء، وتارة أخبر أنهم في ظلمات الجهل والضلال، وتارة أخبر أن على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقرا، وعلى أبصارهم غشاوة. وهذا كله يدل على قبح الجهل وذم أهله وبغضه لهم، كما أنه يحب أهل العلم، ويمدحهم ويثني عليهم ". أهـ

19- أهل العلم يمنحهم الله -تعالى- المعرفة والنور وبهما يفرقون بين الحق والباطل، فلا يحيدون عن الصراط المستقيم:

**قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾** (الحج: 54)

**يقول السعدي-رحمه الله- في" تفسيره صــ491":**

**"** وقوله تعالى: **﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾** وأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، فيفرقون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يُحِكمُه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله ، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أن الله حكيمٌ، يقيضُ بعض أنواع الابتلاءِ ليظهر بذلك كمائنَ النفوسِ الخيرة والشريرة. **﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾** بسبب ذلك، ويزداد إيمانُهم، عند دفع المعارض والشبهة. "فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ "، أي: تخشع وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم. **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** بسبب إيمانهم، **﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** علم بالحق، وعمل بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياة الدنيا وفي الآخرةِ، وهذا النوعُ من تثبيت الله لعبده ". أهـ

20- أهل العلم أكثر الناس استجابة لأوامر الله، وأكثر الناس انتفاعا بها:

**قال تعالى:** **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ (21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ (23) وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾** (الأنفال: 20-23)

**يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه " مفتاح دار السعادة: 1/231":"** قوله تعالى: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾** (الأنفال: 22)، أخبر أن الجهال شر الدواب عنده، على اختلاف أصنافها من الحمير، والسباع، والكلاب، والحشرات، وسائر الدواب، فالجهال شر منها، وليس على دين الرسل أضر من الجهال، بل هم أعداؤهم على الحقيقة. **وقال تعالى لنبيه وقد أعاذه: ﴿ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾** (الأنعام: 35)،

**وقال كليمه موسى-عليه السلام-: ﴿ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾** (البقرة: 67)، **وقال لأوّل رسله نوح : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾** (هود: 46)فهذه حال الجاهلين عنده ". أهـ

**وقال -رحمه الله- أيضا في كتابه" مفتاح دار السعادة: 1/78-79":**

" إن الإنسان إنما يميز عن غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان، وإلا فغيره من الدواب والسباع أكثر أكلا منه، وأقوى بطشًا، وأكثر جِماعًا وأولادًا، وأطول أعمارًا، وإنما مُيز على الدواب والحيوانات بعلمه وبيانه، فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب، وهي الحيوانية المحضة، فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شرا منهم، كما قال تعالى في هذا الصنف من الناس: **﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾** (الأنفال: 22)، فهؤلاء هم الجهال **﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ ﴾** أي ليس عندهم محل قابل للخير

**﴿وَلَو﴾** كان محلهم قابلا للخير **﴿لَّأسْمَعَهُمْ﴾** أي لأفهمهم، والسمع هنا سمع فهم، وإلا فسمع الصوت حاصل لهم وبه قامت حجة الله عليهم **﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾** كما في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق، ففيهم آفتان: إحداهما أنهم لا يفهمون الحق لجهلهم، ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه لكبرهم، وهذا غاية النقص والعيب، وهذه هي الثانية. والمقصود: أن الإنسان إذا لم يكن له علمٌ بما يصلحه في معاشه ومعاده، كان الحيوان البهيم خيرا منه لسلامته في المعاد مما يهلكه دون الإنسان الجاهل ". أهـ

21- أهل العلم يحييهم الله حياة طيبة:

فحياة الإنسان روحها العلم، وهذه هي الحياة الحقيقية، **قال تعالى:** **﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾** (الشورى: 52). فأخبر الله تعالى بأن العلم روح تحصل به الحياة، فجمع العلم بين الأصلين الحياة والنور.

**كما قال تعالى:** **﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾** (الأنعام: 122).

**يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "مفتاح دار السعادة:1/231":**

" إن العلمَ حياةٌ ونورٌ، والجهلَ موتٌ وظلمةٌ، والشرُّ كلُّه سَبَبهُ عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور والحياة، فإن النور يكشف عن حقائق الأشياء، ويبين مراتبها، والحياة هي المصححة لصفاتِ الكمالِ، والموجبة لتسديد الأقوالِ والأفعالِ والأعمالِ، وكل ما تصرف من الحياة فهو خير كله، كالحياءِ، الذي سببه كمال حياةِ القلبِ وتصوره حقيقة القبحِ ونفرته منه، وضده الوقاحة والفحش، وسببه موت القلبِ، وعدم نفرته من القبيح، وكالحياء الذي هو المطر الذي به حياة كل شيء، قال تعالى: **﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾** كان ميتا بالجهل قلبه فأحياه بالعلم، وجعل له من الإيمان نورا يمشي به في الناس ". أهـ

**وقال السعديُّ -رحمه الله- في تفسيره صــ234:**

" يقول تعالى: **﴿أَوَ مَن كَانَ﴾** من قبل هداية الله له **﴿مَيْتًا﴾** في ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي **﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾** بنور العلمِ والإيمانِ والطاعةِ، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصرا في أموره، مهتديا لسبيله، عارفًا للخير، مؤثرا له، مجتهدا في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفا بالشر، مبغضا له، مجتهدًا في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره. أفيستوي هذا بمن هو في الظلماتِ، ظلماتِ الجهل والبغي، والكفر والمعاصي. لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا "، قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهم والغم والحزن والشقاء. فنبه تعالى، العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا يستوي الليل والنهار، والضياءُ والظلمةُ، والأحياءُ والأمواتُ. فكأنه قيل: فكيف يؤثر من له أدنى مُسكةٍ من عقلٍ، أن يكون بهذه الحالة، وأن يبقى في الظلماتِ متحيرًا: فأجاب بأنه: **﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾** فلم يزل الشيطان يحسن لهم أعمالهم، ويزينها في قلوبهم، حتى استحسنوها، ورأوها حقا، وصار ذلك عقيدةً في قلوبهم، وصفةً راسخةً ملازمةً لهم؛ ولذلك رضوا بما هم عليه من الشر والقبائح ". أهـ

الأدلة من السنة النبوية على فضل وشرف ومكانة العلماء.

1- الخلائق كلها تدعوا لأهل العلم، ومعلمو الناس الخير:

**فقد أخرج الديلمي وابن عدي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" الخلق كُلُّهم يصلون على معلم الخير، حتى نينان**(**[[11]](#footnote-11)) البحر".** (الصحيحة: 1852)

**وعند البزار بلفظ:" مُعلِّمُ الخير يستغفرُ له كل شيءٍ حتى الحيتان في البحر".**

(صححه الألباني في صحيح الترغيب)

**وفي رواية عند ابن عبد البر عن أنس عن النبي ﷺ قال:** **"طلبُ العلمِ فريضةٌ على كل مسلمٍ، وإنَّ طالبَ العلمِ يستغفرُ له كلُّ شيءٍ، حتى الحيتانُ في البحرِ "**. (صحيح الجامع: 3914)

**وفي رواية أبي يعلى: " صاحب العلم يستغفر له كلُ شيء، حتى الحوت في البحر "**. (صحيح الجامع: 3753)

**قال البغوي- رحمه الله- في" شرح السنة:1/275":**" قيل: إن الله تعالى ألهم الحيتان وغيرها من أنواع الحيوان الاستغفار للعلماء ".

**وأخرج الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال:** **ذُكِرَ لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابدٌ، والآخر عالمٌ، فقال ﷺ:" فضلُ العالِمِ على العابِدِ، كفضلِي على أدْنَاكم".** **ثم قال رسول الله ﷺ:" إن اللهَ وملائكتَهُ، وأهلَ السماواتِ والأرضِ، حتى النَّمْلةِ في جُحْرِها، وحتى الحُوتِ، ليصلُّون على معلِّم الناسِ الخيرَ".** (صحيح الجامع: 4213) (صحيح الترغيب والترهيب: 81)

**وأخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء أنه سمع النبي ﷺ يقول:" وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ".** (صححه الألباني في المشكاة:212)

**ويقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه" مفتاح دار السعادة: 1/253" عند شرحه لهذا الحديث:**

وقوله ﷺ**:" إن الله وملائكته وأهل السماء والأرض يصلون على معلم الناس الخير"**، لما كان تعليمُهُ للناس الخير سببًا لنجاتِهم وسعادتِهم وزكاةِ نُفوسِهم، جَزَاهُ اللهُ من جنسِ عملِهِ بأنْ جعل عليه من صلاتِهِ وصلاةِ ملائكتِهِ وأهلِ الأرضِ ما يكون سببًا لنجاته وسعادتِهِ وفلاحِهِ. وأيضًا؛ فإن مُعلِّم الناس الخير لَّما كان مُظهرًا لدين الرب وأحكامه، ومعرفًا لهم بأسمائِهِ وصفاتِهِ، جعل اللهُ من صلاتِه وصلاةِ أهل سماواتِهِ عليه ما يكون تنويهًا به، وتشريفًا له، وإظهارًا للثناء عليه بين أهل السماء والأرض". أهـ

**ويقول القرطبي -رحمه الله- كما في" المفهم: 6/685" عند شرحه للحديث السابق:"** وهذا حديث عظيم يدل على أن طلب العلم أفضل الأعمال، وأنه لا يبلغ أحد رتبة العلماء، وأن رتبتهم ثانية عن رتبة الأنبياء".

2- أهل العلم عدول:

**أخرج البيهقي والدارقطني والطبري عن أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:**

**" يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُولُه". الحديث، وينظر تخريجه حيث ضعفه بعض أهل العلم.**

**يقول ابن القيم-رحمه الله- في" مفتاح دار السعادة: 1/495":**" أخبر رسول الله ﷺ أن العلم الذي جاء به يحمله عدول أمته من كل خلف حتى لا يضيع ويذهب. وهذا يتضمن تعديله ﷺ لحملة العلم الذي بعث به، وهو المشار إليه في قوله: **"هذا العلم"** فكل من حمل العلم المشار إليه لابد وان يكون عدلا، ولهذا اشتهر عند الأمة عدالة نقلته وحملته اشتهارا لا يقبل شكا ولا افتراء. ولا ريب أن من عدله رسول الله ﷺ لا يسمع فيه جرح، فالأئمة الذين اشتهروا عند الأمة بنقل العلم النبوي وميراثه كلهم عدول بتعديل رسول الله ﷺ، ولهذا لا يقبل قدح بعضهم في بعض، وهذا بخلاف من اشتهر عند الأمة جرحه والقدح فيه كأئمة البدع ومن جرى مجراهم من المتهمين في الدين، فإنهم ليسوا عند الأمة من حملة العلم. فما حمل علم رسول الله ﷺ إلا عدل ولكن قد يغلط في مسمى العدالة، فيظن أن المراد بالعدل من لا ذنب له، وليس كذلك، بل هو عدل مؤتمن على الدين، وإن كان فيه ما يتوب إلى الله منه، فإن هذا لا ينافي الإيمان والولاية ". أهـ

3- أهل العلم حُرَّاس الدين، وحُماته من الابتداع والتحريف:

**ففي تتمة الحديث السابق الذي أخرجه البيهقي وغيره من حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: " يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين**(**[[12]](#footnote-12))، وانتحال المبطلين**(**[[13]](#footnote-13))، وتأويل الجاهلين ".**

**قيل لعبد الله بن المبارك -رحمه الله-:** " هذه الأحاديث المصنوعة؟ فقال: "يعيش لها الجهابذة ". (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي: 2/472)

**وقال ابن عُلية -رحمه الله-:**" أخذ هارون الرشيد- رحمه الله- زنديقًا، فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لِمَ تضرب عنقي؟ فقال له هارون الرشيد: أريح العباد منك، قال: فأين أنت من ألف حديث وضعتُها على رسول الله ﷺ كلها ما فيها حرف نطق به؟! فقال له هارون الرشيد: فأين أنت يا عدو الله من أبي اسحاق الفزاري، وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلًا، فيخرجانها حرفًا حرفًا ". (تذكرة الحفاظ: 1/252)

4- أهل العلم حريصون على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم:

**فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة أنه قال:** **قيل يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: "لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه**(**[[14]](#footnote-14)) ".**

5- أهل العلم ورثة الأنبياء:

**فقد أخرج الإمام أحمد وأهل السنن وابن حبان عن كثير بن قيس قال:** **كنت مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاء رجل، فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول- عليه السلام- في حديث بلغني أنك تحدِّث عن رسول الله ﷺ. قال: ما كانت لك حاجةٌ غيره؟ قال: لا، قال: ولا جئتَ لتجارة؟ قال: لا، قال: ولا جئت إلا فيه؟ قال: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض، حتى الحيتان**(**[[15]](#footnote-15)) في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ**(**[[16]](#footnote-16)) وافرٍ ".** (صحيح الجامع: 6297)

**وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة " أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق! ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقَسّم، وأنتم ها هنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نر فيه شيئًا يُقسَّم، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحدًا؟ فقالوا: بلى، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم! فذاك ميراث محمد ﷺ ".** (حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: 83)

**وذكر الخطيب البغدادي في كتابه "شرف أصحاب الحديث "عن سليمان بن مهران قال:"** **بينما ابن مسعود يومًا، مع نفر من أصحابه إذ مر أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ، يقسمونه** ".

**قال ابن جماعة-رحمه الله- في كتابه " تذكره السامع والمتكلم صـ43"عند هذا الحديث:**

" وحسبك بهذه الدرجة مجدًا وفخرًا، وبهذه الرتبة شرفًا وذكرًا، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة، فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة ". أهـ

**وقال ابن حبان في كتابه "الإحسان: 1/290 ":** في هذا الحديث بيانٌ واضح أن العلماءَ الذين لهم الفضل الذي ذكرنا، هم الذين يُعَلَمون علم النبيﷺ، دون غيره، ألا تراه يقول: **"العلماء ورثه الأنبياء"** والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلمُ نبينا سنته، فمن تعرى عن معرفتها، لم يكن من ورثة الأنبياء ". أهـ

**ويقول ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه مفتاح دار السعادة: /255-264:** **وفي قول النبي ﷺ:** **"من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة"**. والطريق الذي يسلكه إلى الجنة جزاءٌ على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصل إلى ربه ". أهـ

ووضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم تواضعًا، وتوقيرًا، وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه، وهذا يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه أنها تضع أجنحتها تواضعًا له. (شرح السنة:1/275)

**وقوله ﷺ:** **" إن العالم ليستغفرُ له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتانُ في الماء"**؛ فإنه لما كان العالم سببًا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصورًا على هذا، وكانت نجاة العباد على يديه، جُوزِيَ من جنس عمله، وجعل من في السماواتِ والأرض ساعيًا في نجاتِهِ من أسباب المهلكات؛ باستغفارهم له.

وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين، فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلاصتهم.

**وقوله:** **"وفضلُ العالِمِ على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب".** تشبيه مطابق لحال القمر والكواكب؛ فإن القمر يضيء الآفاق، ويمتد نوره إلى العالَمِ، وهذه حال العالِمِ، وأمَّا الكوكبُ فنوره لا يجاوز نفسه، أو ما قرب منه، وهذه حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره، وإن جاوز نور عبادته غيره فإنما يجاوز غير بعيد، كما يجاوز ضوء الكوكب له مجاوزة يسيرة.

وفي التشبيه المذكور لطيفة أخرى: وهي أن الجهل كالليل في ظلمته وحِندسِه([[17]](#footnote-17)**)**، والعلماء والعباد بمنزلة القمر والكواكب الطالعة في تلك الظُّلْمة، وفضل نور العالِمِ فيها على نور العابد كفضل نور القمر على الكواكب.

وأيضًا، فالدين قوامُه وزينته وأمنَتُهُ بعلمائه وعُبَّادِهِ، فإذا ذهب علماؤه وعُبَّادُهُ ذهب الدين، كما أن السماء أمنتها وزينتها بقمرها وكواكبها؛ فإذا خسف قمرها وانتثرت كواكبها أتاها ما توعد وفضل علماء الدين على العباد كفضل ما بين القمر والكواكب.

**فإن قيل:** كيف وقع تشبيه العالم على القمر دون الشمس، وهي أعظم نورًا؟ قيل: فيه فائدتان:

**إحداهما:** أن نور القمر لما كان مستفادًا من غيره كان تشبيه العالِمِ الذي نوره مستفاد من شمس الرسالة بالقمر أولى من تشبيهه بالشمس.

**الثانية:** أن الشمس لا يختلف حالها في نورها، ولا يلحقها مُحَاقٌ([[18]](#footnote-18)**)**، ولا تفاوتٌ في الإضاءة، وأما القمر فإنه يقل نوره ويكثر، ويمتلئ وينقص، كما أن العلماء في العلم على مراتبهم من كثرته وقلته، فيفضل كل منهم في علمه بحسب كثرته وقلته وظهوره وخفائه، كما يكون القمر كذلك، فعالِمٌ كالبدر ليلة تمامه، وآخر دونه بليلة ثانية وثالثة، وما بعدها إلى آخر مراتبه، وهم درجات عند الله.

**وقوله ﷺ:**" **إن العلماء ورثة الأنبياء** "؛ هذا من أعظم المناقب لأهل العلم، فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته-إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده- لم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم.

وفي هذا تنبيه على أنهم أقربُ الناس إليه، فإن الميراثَ يكون لأقرب الناس إلى الموروث؛ وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم، فكذلك هو في ميراث النبوة، والله يختص برحمته من يشاء.

**وفيه:** إرشادٌ وأمرٌ للأمة بطاعتهم، واحترامهم، وتعزيزهم، وتوقيرهم، وإجلالهم، فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة، وخلفاؤهم فيهم.

**وفيه:** تنبيهٌ على أن محبتهم من الدين، وبغضهم مناف للدين، كما هو ثابت لموروثهم.

وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله كما هو في موروثهم.

**وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه :" من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة**(**[[19]](#footnote-19)) "**، وورثة الأنبياء سادات أولياء الله .

**وفيه:** تنبيه للعلماء على سلوك هدي الأنبياء وطريقتهم في التبليغ؛ من الصبر، والاحتمال، ومقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان، والرفق بهم، واستجلابهم إلى الله بأحسن الطرق، وبذل ما يمكن من النصيحة لهم، فإنه بذلك يحصل لهم نصيبهم من هذا الميراث العظيم قدره، الجليل خطره.

**وفيه:** أيضًا تنبيهٌ لأهل العلم على تربية الأمة كما يربي الوالد ولده؛ فيربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره، وتحميلهم منه ما يطيقون، كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصاله الغذاء إليه.

**وقوله ﷺ:" إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم"**، فهذا من كمال الأنبياء وعظم نصحهم للأمم، وتمام نعمة الله عليهم، وعلى أممهم، أن أزاح جميع العلل، وحسم جميع المواد التي توهم بعض النفوس أن الأنبياء من جنس الملوك الذين يريدون الدنيا وملكها، فحماهم سبحانه وتعالى من ذلك أتم الحماية.

ثم لما كان الغالب على الناس أن أحدهم يريد الدنيا لولده من بعده، ويسعى ويتعب ويحرم نفسه لولده، سد هذه الذريعة عن أنبيائه ورسله، وقطع هذا الوهم الذي عساه أن يخالط كثيرًا من النفوس التي تقول: فلعله إن لم يطلب الدنيا لنفسه فهو يحصلها لولده، فقال:**" نحن معاشر الأنبياء لا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة".**

فلم تورث الأنبياء دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم. (رواه البخاري ومسلم)

**وقوله ﷺ:** **" فَمَنْ أخَذَهُ أخذ بحظٍّ وافرٍ"**، أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبد ودام نفعه له، وليس هذا إلا حظه من العلم والدين، فهو الحظ الدائم النافع، الذي إذا انقطعت الحظوظ لأربابها فهو موصول له أبد الآبدين، وذلك لأنه موصول بالحي الذي لا يموت، فلذلك لا ينقطع ولا يفوت، وسائر الحظوظ تعدم وتتلاشى بتلاشي مُتعلَّقاتها، كما قال تعالى: **﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾** (الفرقان:23)؛ فإن الغاية لما كانت منقطعةٍ زائلةٍ تبعتها أعمالُهُم، فانقطعت عنهم أحوج ما يكون العامل إلى عمله، وهذه هي المصيبة التي لا تجبر، عياذًا بالله، واستعانةً به وافتقارًا، وتوكلًا عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ". أهـ بتصرف واختصار (مفتاح دار السعادة: 1/255-264)

6- أهل العلم عصمة للأمة من الضلال:

بين النبي ﷺ في حديث له أن من علامات الساعة قبض العلم ورفعه وظهور الجهل وانتشاره.

**كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:**

**" لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم......".** **الحديث**

**وعند البخاري ومسلم أيضًا من حديث أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:**

**" إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل......".** **الحديث**

والمقصود بالعلم هنا هو العلم الشرعي، والمقصود بالجهل هنا هو الجهل بأمور الدين.

**يقول ابن عباس- رضي الله عنهما-كما عند الدارمي: 1/78 وكتاب العلم "لزهير بن حرب (16)**

**" أتدرون ما ذهاب العلم من الأرض؟ قلنا: لا: قال: "أن يذهب العلماء".**

**ويقول عبد الله بن مسعود: "عليك بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله، أو قال: أصحابه".**

(أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: 1/159، والطبراني في المعجم الكبير:9/170)

**وذكر ابن القيم- رحمه الله- في كتابه "مفتاح دار السعادة: 1/121" هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود بلفظ:"** **عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه هلاك العلماء، والذي نفسي بيده ليودنَّ رجالٌ قتلوا في سبيل الله أن يبعثهم الله علماء لما يرْونَ من كرامتهم ".**

**ويقول أيضا عبد الله بن مسعود :" أتدرون كيف يُنْقصُ الإسلام؟ قالوا: كما ينقص الثوب، وكما يَنقُصُ سمنُ الدابة، وكما ينقصُ الدرهم، قال: إن ذلك لَمِنْةُ، وأكبر من ذلك موتُ العلماء ".** (رواه الطبراني: انظر مجمع الزوائد:1/202)

**ويقول الحسن -رحمه الله-: " موت العالم ثلمة**(**[[20]](#footnote-20)) في الإسلام، لا يسدها شيء ما طرد الليل والنهار".**

(جامع بيان العلم: 1/595)

فموت العالم مصيبة لا تجبر، وثُلْمَةٌ لا تسد، لأن بموته يرفع العلم وعند ذلك يتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فيفتوا الناس بغير علم فيَضلوا ويُضلوا، كما أخبر بذلك الحبيب النبي ﷺ.

**ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخَذَ الناسُ رؤوسًا جهالًا، فسُئِلُوا، فأفْتَواْ بغير علم، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ".**

**وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في" فتح الباري: 1/235": "**وفي هذا الحديث الحث على حفظ العلم، والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية، وذم من يُقْدمُ عليها بغير علم. أهـ

**وقال الإمام النووي -رحمه الله-:** هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حُفَّاظِهِ، ولكن معناه: أنه يموت حملتُهُ، ويتخذ الناس جُهَّالًا يحكمون بجهالاتهم فيَضلُّون ويُضلُّون ". أهــ (شرح صحيح مسلم: 16/223)

**ويقول ابن عباس -رضي الله عنهما-:" لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يدرس، حتى يكثر أهل الجهل، وقد ذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل.** (جامع بيان العلم: 1/603)

وفي قوله ﷺ:**" اتخذ الناس رؤساء جهالا ".** يقول عقبة بن عامر:**" تعلموا قَبْلَ الظَّانِّينَ "** ( رواه البخاري )

**قال البخاري معلقا علي كلام عقبة بن عامر :** يعني الذين يتكلمون بالظن

**وقال الإمام النووي- رحمه الله-: كما في" المجموع: 1/42":"**معناه: تعلموا العلم من أهله المحققين الورعين قبل ذهابهم ومجيء قوم يتكلمون في العلم بمثل نفوسِهِم وظنونِهم التي ليس لها مستندٌ شرعيٌ". أهــ

**قال سفيان بن عيينة -رحمه الله-:** وأي عقوبة أشد على أهل الجهل أن يذهب أهل العلم ". (شرح السنة: 1/318)

**وقال هلال بن خبَّاب -رحمه الله-:**" سألت سعيد بن جبير، قلت: يا أبا عبد الله! ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم ". (رواه الدارمي: 1/78)

**وصدق القائل حيث قال:**

تَعلمْ.. ما الرزيةُ فقد مالٍ ولا شاة تموتُ ولا بعيرُ

ولكـن الــــــرزية فقـــــــدُ حُــــرِّ يموت بموته بشر كثيــر

**يقول الإمام أبو بكر الآجري -رحمه الله-:**

" فما ظنكم-رحمكم الله- بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فإن لم يكن فيه ضياء وإلا تحيروا، فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم، فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت طبقات من الناس، لابد لهم من السلوك فيه فسلكوا، فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح، فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بهم؟ هكذا العلماء في الناس، لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض، ولا كيف اجتناب المحارم، ولا كيف يعبد الله في جميع ما يقدره به خلقه إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحير الناس، ودرس العلم بموتهم، وظهر الجهل ". أهـ (أخلاق العلماء: صـ 96)

**وقال أبو مسلم الخولاني-رحمه الله-:** " مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا ". (المجموع للنووي: 1/41) (تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة صـ70)

**ويقول ابن القيم- رحمه الله-: في كتابه " مفتاح دار السعادة:1/ 68 ":**

" لمَّا كان صلاح الوجود بالعلماء، ولولاهم كان الناسُ كالبهائم، بل أسوَأ حالًا كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له ".

7- أهل العلم مفاتيح للخير مغاليق للشر:

**فقد أخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:" إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه ".** (الصحيحة: 1332)

**وفي رواية عند ابن ماجه أيضًا من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ:" إن هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير".** (صحيح الترغيب والترهيب: 66)

8- أهل العلم صمام أمان للأمة

**ففي الحديث الذي مر بنا وهو عند البخاري من حديث أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**

**"من أشراط الساعة أن يقلَّ العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد".** **- وفي لفظ**: **"ويشرب الخمر".**

**يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في فتح الباري: 1/213-216":**

" وكأن هذه الأمور الخمسة خُصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد وهي: الدين: لأن رفع العلم يخل به، والعقل: لأن شرب الخمر يخل به، والنسب: لأن الزنا يخل به، والنفس والمال: لأن كثرة الفتن تخل بهما، وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذنًا بخراب العلم". اهـ

وقفة: **أخرج البخاري تعليقًا عن ربيعة-رحمه الله- أنه قال:** " لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه". ومراد ربيعه: أن من كان فيه فهم وقابلية للعلم لا ينبغي له أن يهمل نفسه فيترك الاشتغال بالعلم، لئلا يؤدى ذلك إلى رفع العلم. أو مراده: الحث على نشر العلم في أهله لئلا يموت العالم قبل ذلك فيؤدى إلى رفع العلم. أو مراده: أن يشهر العالم نفسه ويتعدى للأخذ عنه لئلا يضيع علمه. وقيل مراده: تعظيم العلم وتوقيره، فلا يهين نفسه بأن يجعله عرضًا للدنيا ". (انظر فتح الباري: 1/214)

وذهاب أهل الخير والدين علامة من علامات الساعة:

**فقد أخرج الإمام أحمد عَنْ** [**عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو**](http://www.islamweb.net/hadith/RawyDetails.php?RawyID=4980)**-رضى الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ**:"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ([[21]](#footnote-21))** **مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ([[22]](#footnote-22))، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا ".**

(قال أحمد شاكر-رحمه الله-: اسناده صحيح)

وإذا قبض الله أهل العلم والصلاح والخير والدين، لم يبقَ إلا أراذل القوم، فإذا كان العلم فيهم فإنه لا يُؤْمَر بمعروف، ولا يُنْهى عن منكر.

**كما جاء عن ابن ماجه عَنْ** [**أنس بْنِ مَالِكٍ**](http://www.islamweb.net/hadith/RawyDetails.php?RawyID=720)  **قَالَ:" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: الْمُلْكُ فِي صغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ ([[23]](#footnote-23))، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ([[24]](#footnote-24)) ".**

**أخرج البخاري: عَنْ مِرْدَاسٍ اَلْأَسْلَمِيِّ قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ** ﷺ**: "يَذْهَبُ اَلصَّالِحُونَ اَلْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ([[25]](#footnote-25))، كَحُفَالَةِ اَلشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمْ اَللَّه بَالَة([[26]](#footnote-26))** **"**.

**قال أبو عبد الله:** يُقال: " حُفالةٌ " و" حثالة ".

**وقد أخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ النَّبِيِّ** ﷺ **أَنَّهُ قَالَ: " يأتي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغَرْبَلُونَ فِيهِ غَرْبَلَةً، يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ([[27]](#footnote-27))** **قَدْ مَرِجَتْ([[28]](#footnote-28))** **عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ".** (قال أحمد شاكر: إسناده صحيح)

**يقول عبد الله بن مسعود:**" لايزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا ". (جامع بيان العلم:1/616) (الزهد لابن المبارك صــ815) (مصنف عبد الرزاق: 11/246)

9- وصية النبي **-** صلى الله عليه وسلم- بأهل العلم:

كان النبي ﷺ في حياته يرحب بطلبة العلم ويفرح بهم

**كما في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والطبراني في الكبير واللفظ له من حديث صَفْوانَ بن عَسَّال المُرَاديِّ قال:**" **أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد**(**[[29]](#footnote-29)) له أحمر، فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: "مرحبا بطالب العلم، وإن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب "**.

(صحيح ابن ماجه: 186) (صحيح الترغيب والترهيب: 71)

**وعند الترمذي وابن ماجه بلفظ**: **" ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضى بما يصنع ".** (صحيح ابن ماجه: 85)

**ووصى النبي ﷺ أصحابه ومن سيأتي بعدهم أن يهتموا بطلبة العلم ويعلموهم ويفتوهم.**

**فقد أخرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:" سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبا بوصية رسول الله، وأفتوهم** **- وفي رواية-واقنوهم**([[30]](#footnote-30)**)** ".

(صحيح الجامع: 3651) (الصحيحة: 280)

**وفي رواية عند الحاكم عن أبي سعيد الخدري أنه كان يقول لطلبة الحديث" مرحبا بوصية رسول الله، كان رسول الله ﷺ يوصينا بكم ".** (السلسلة الصحيحة: 280)

ففي هذه الأحاديث تجد أن النبي ﷺ كان يفرح بطلبة العلم، ويوصى بهم خيرا، وهذا يدل على علو قدرهم، وعظم شأنهم، وشرف مطلوبهم.

**وأخرج الترمذي والحاكم عن أنس قال:**" **كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ – وفي رواية: يحضر حديث النبي..... ومجلسه- والآخر يحترف**(**[[31]](#footnote-31)) فشكا المحترف أخاه إلى النبي .... فقال يا رسول الله! إن هذا أخي لا يعينني بشيء، فقال له النبي: لعلك ترزق به ".**

10- أهل العلم ينفعون أنفسهم وينتفع بهم غيرهم:

**ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال:" مثل ما بعثني الله به من الهدى**(**[[32]](#footnote-32)) والعلم**(**[[33]](#footnote-33)) كمثل الغيث**(**[[34]](#footnote-34)) الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية**(**[[35]](#footnote-35)) قبلت الماء**(**[[36]](#footnote-36)) فأنبتت الكلأ**(**[[37]](#footnote-37)) والعشب**(**[[38]](#footnote-38))الكثير وكانت منها أجادب**(**[[39]](#footnote-39)) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان**(**[[40]](#footnote-40)) لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه**(**[[41]](#footnote-41)) في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا**(**[[42]](#footnote-42))ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ".**

**قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في" فتح الباري 1/212 ":**

" قال القرطبي وغيره من شراح الحديث: ضَرَبَ النبيُّ ﷺ لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، **فمنهم** العالمُ العاملُ المعلِّمُ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها. **ومنهم** الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به. **ومنهم** من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها. وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها ".

**قال ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه مفتاح دار السعادة 1/247":**

" شبه رسول الله ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث، لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد، فإنها بالعلم والمطر. وشبه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر لأنها المحل الذي يمسك الماء، فينبت سائر أنواع النبات النافع، كما أن القلوب تعي العلم فيثمر فيها ويزكو، وتظهر بركته وثمرته. ثم قسم الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه، وفهم معانيه واستنباط أحكامه، واستخراج حكمه وفوائده: **أحدهما:** أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه، وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الأحكام والحكم والفوائد منه، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء-وهذا بمنزلة الحفظ- فأنبتت الكلأ والعشب الكثير- وهذا هو الفهم فيه والمعرفة والاستنباط-فإنه بمنزلة إنبات الكلأ والعشب بالماء، وهذا مثل الحفاظ الفقهاء، وأهل الرواية والدراية........". أهـــ باختصار

11- من أراد الله به خيرا فقهه في الدين، وفتح له طريقا لطلب العلم:

**فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن معاوية قال: قال رسول ﷺ:" الخير عادة**(**[[43]](#footnote-43))، والشر لجاجة**(**[[44]](#footnote-44))، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ".** (الصحيحة:651)(صحيح الجامع: 6611)

**يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" مفتاح دار السعادة: 1/246":**

" وهذا الحديث يدل على أن من لم يفقهه في دينه لم يرد به خيرا، كما أن من أراد به خيرا فقهه في دينه، ومن فقهه في دينه فقد أراد به خيرا، إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل ". أهـ

**وفي رواية عند البخاري ومسلم عن حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمَّةُ قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله". وفي رواية: ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي أمر الله ".**

**وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في" فتح الباري: 1/285 "عن الحديث السابق**

هذا الحديث مشتمل على ثلاثة أحكام: أولها: فضل التفقه في الدين. وثانيها: أن المعطي في الحقيقة هو الله. وثالثها: أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبدًا. أهـ

**وأخرج الطبراني في الكبير عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" يا أيها الناس: إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**

(صحيح الترغيب والترهيب: 67) (فاطر: 28)

12- أهل العلم بمنزلة المجاهدون في سبيل الله:

**- أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:** **"من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه، أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره "**. (صحيح الترغيب والترهيب: 87) (صحيح الجامع: 6184)

**يقول الشيخ خليل هراس في تعليقه على" الترغيب والترهيب: 1/113": قوله ﷺ:" فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله"** أي: في درجة المحاربين لإعلاء كلمة الله، ولا شك أن طلب العلم النافع وتعليمه لمن يطلبه، هو نوع من الجهاد، فإن الجهاد لا يكون بالسيف وحده، بل بالبيان والموعظة وإقامة البرهان. وقوله ﷺ **"فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره "** يعني: لاحظَّ له من هذا الخير إلا النظر، كما ينظر الفقير المحروم إلى ما عند الأغنياء من عَرَضٍ ومتاع. أهـ

**- وأخرج الترمذي من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ:" من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع ".** (صحيح الترغيب والترهيب: 88)

13- أهل العلم العاملون بأفضل المنازل عند الله -عز وجل-:

**فقد أخرج الترمذي وأصله في مسلم عن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فأحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد بمظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر-أو كلمة نحوها-وأحدثكم حديثا فأحفظوه. قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا. فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علم فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء ".**

فالنبي ﷺ قسم الناس في هذا الحديث إلى أربعة أقسام، خيرهم من أُوتيَ علما ومالا، فهو محسن إلى الناس بعلمه وماله، ويليه في المرتبة من أوتي علما ولم يؤت مالا، وإن كان أجرهما سواء فذلك إنما كان بالنية.

والثالث: من أوتي مالا ولم يؤت علما، والرابع من لم يؤت مالا ولا علما ونيته أنه لو كان له مال لعمل فيه بمعصية الله. فعادت السعادة بجملتها إلى العلم وموجبه، والشقاوة بجملتها إلى الجهل وثمرته.

14- أهل العلم هم أولياء الله -تعالى-:

**ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى:**

**"من عادى لي وليًا، فقد آذنُته**(**[[45]](#footnote-45)) بالحرب......".** **الحديث**

**قال أبو حنيفة -رحمه الله-:**" إن لم يكن الفقهاء أولياء الله، فليس لله ولي ".

**وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-:**" إن لم يكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة، فما لله ولي".

(الفقيه والمتفقه: 1/36)

فالعلماء هم أولياء الله الذين قال فيهم رسول الله ﷺ:" أولياء الله الذين إذا رُءُوا ذُكِرَ الله تعالى".

(أخرجه الطبراني وهو في السلسلة الصحيحة: 1733)

**وكان عبد الله بن مسعود يقول للربيع بن خثيم -رحمه الله-:" يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرتُ المخبتين".** (سير أعلام النبلاء: 4/258)

**وقد كان أبو إسحاق السَّبيعي يقول في شيخه عمرو بن ميمون الأودي:**" كان إذا روي ذكر الله ".

وكان محمد بن سيرين -رحمه الله- إذا مَرَّ في السوق، فما يراه أحد إلا ذكر الله- تعالى-.

(تاريخ الإسلام للذهبي: 4/193)

15- أهل العلم بمنزلة الحُجاج الذين تمت حجتهم:

**- وأخرج الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ**:**" من غَدَا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلَّم خيرًا أو يُعلِّمه كان له كأجرِ حَاجٍّ تامّ حَجَّتُه ".** (صحيح الترغيب والترهيب: 86)

16- أهل العلم دعا لهم النبي **-**صلى الله عليه وسلم- بنضارة الوجه:

**فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أنس عن النبي ﷺ قال:" نَضَّرَ**(**[[46]](#footnote-46)) اللهُ عبدًا سمع مقالتي، فوعاها، ثم بلَّغها عني، فرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه "**.

(صحيح الجامع: 6765)

**وأخرج أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:**

**" نَضَّرَ اللهُ امرءًا سمع منا شيئًا، فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع ".** (صحيح الجامع: 6764)

**وعند الإمام أحمد من حديث زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" نضر الله امرءًا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يغل**(**[[47]](#footnote-47)) عليهن قلب مسلم أبدا: إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم "**. (صحيح الجامع: 6763-6766) (صحيح الترغيب والترهيب: 90)

**يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "مفتاح دار السعادة:1/274"عند شرحه للحديث السابق:**

" إن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وبلغه بالنضرة-وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه-ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفا؛ فإن النبي ﷺ دعا لمن حفظ كلامه ووعاه، وحفظه وبلغه، وهذه هي مراتب العلم. **أولها وثانيها:** سماعه وعقله؛ فإذا سمعه وعاه بقلبه؛ أي: عقله واستقر قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه، وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها حتى لا تشرد وتذهب، ولهذا كان الوعي والعقل قدرا زائدا على مجرد إدراك المعلوم. **المرتبة الثالثة:** تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. **المرتبة الرابعة:** تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده؛ وهو بثه في الأمة، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه وهو معرض لذهابه، فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب، فإن أنفق منه نما وزكا على الإنفاق.

فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه، ولهذا يجمع له سبحانه بين السرور والنضرة، كما في قوله تعالى: **﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾** (الإنسان:11) فالنضرة في وجوههم، والسرور في قلوبهم، فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه، كما قال تعالى: **﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾** (المطففين: 24) والمقصود أن هذه النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ﷺ ووعاها وحفظها وبلغها-هي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه.

**وقوله ﷺ:** **"ربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه"** تنبيه على فائدة التبليغ، وأن المُبلِّغ قد يكون أفهم من المبلغ، فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلغ. أو أن يكون المعنى: أن المبلغ قد يكون أفقه من المبلغ، فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوهها واستنبط فقهها وعلم المراد منها ". أهـ باختصار

17- أهل العلم ثوابهم عظيم، وأجرهم مضاعف:

**ودليل ذلك ما أخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه-رضي الله عنهما -عن النبي ﷺ قال:** **"من علم علمًا فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: 80) (صحيح الجامع:6396)

**قال الألباني -رحمه الله- في " صحيح الترغيب والترهيب:1/37": ويشهد له في معناه حديث جرير :** **"من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء".** (رواه مسلم) **وحديث أبي مسعود البدري : "من دل على خير، فله أجر فاعله، أو قال عامله ".**

(رواه أبو داود والترمذي والسياق له)

**وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال**:**" من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ".**

**قال ابن القيم -رحمه الله-كما في" مفتاح دار السعادة: 1/251":** أخبر ﷺ أن المتسبب إلى الهدى بدعوته له مثل أجر من اهتدى به، والمتسبب إلى الضلالة بدعوته عليه مثل إثم من ضل به؛ لأن هذا بذل قدرته في هداية الناس، وهذا بذل قدرته في ضلالهم، فنزل كل واحد منهما بمنزلة الفاعل التام. وهذه قاعدة الشريعة؛ **قال تعالى:** **" لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ "** (النحل: 25)

**وقال تعالى:** **"وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ** "(العنكبوت: 13)، وهذا يدل على أن من دعا الأمة إلى غير سنة رسول الله ﷺ فهو عدوه حقا؛ لأنه قطع وصول أجر من اهتدى بسنته إليه، وهذا من أعظم معاداته، نعوذ بالله من الخذلان.

**وللحرص على الأجر والثواب الحاصل من تبليغ هذا العلم فليسع كل إنسان أن يبلغ عن النبي ﷺ ولو آية**

**وقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:** **"بلغوا عني ولو آية**(**[[48]](#footnote-48))، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**(**[[49]](#footnote-49))، ومن كذب عليَّ متعمدا، فليتبوأ**(**[[50]](#footnote-50)) مقعده من النار ".**

**يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه " مفتاح دار السعادة:1/278":**" أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه، لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ، وله ﷺ أجر من بلغ عنه وأجر من قبل ذلك البلاغ، وكلما كثر التبليغ عنه تضاعف له الثواب، فله من الأجر بعدد كل مبلغ وكل مهتد بذلك البلاغ سوى ما له من أجر عمله المختص به، فكل من هدي واهتدى بتبليغه فله الأجر، لأنه هو الداعي إليه، ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه ﷺ لكفى به فضلا. وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه، ويبذل جهده وطاقته فيها. ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة، فالمبلغ عنه ساع في حصول محابه، فهو أقرب الناس منه، وأحبهم إليه، وهو نائبه وخليفته في أمته، وكفى بهذا فضلًا وشرفًا للعلم.

* **ولعل هذا البلاغ في هداية انسان، وهذا فيه ما فيه من الخير الكبير والثواب الجزيل.**

**فقد أخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:" لأُعْطِينَّ هذه الرايةَ رجلًا يفتحُ اللهُ على يديه، يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسولُهُ، "، قال: فباتَ الناسُ يدركون ليلتهم**(**[[51]](#footnote-51)) أيهم يعطاها. قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها. فقال: "أين علي بن أبي طالب"، فقالوا: هو، يا رسول الله، يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن بها وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا**(**[[52]](#footnote-52))؟ فقال: انفذ على رسلك**(**[[53]](#footnote-53))، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**(**[[54]](#footnote-54)) ".**

**قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه" مفتاح دار السعادة:1/250":**" حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعلي : **"لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"**، يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله، بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذلك خيرا له من حمر النعم؛ وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس؟!"

**وقال النووي -رحمه الله- في" شرحه على مسلم:15/178": قوله ﷺ: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"**، هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت، وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة ".

18- أهل العلم يباهي اللهُ بهم الملائكة:

**فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري قال:** **خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله، ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله، ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم**(**[[55]](#footnote-55))، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: "ما أجلسكم؟ "قالو: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا، قال: "آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ "قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: "أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني؛ أن الله يباهي بكم الملائكة**(**[[56]](#footnote-56)) ".**

**قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه" مفتاح دار السعادة:1/290":**

" إن الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بالقوم الذين يتذاكرون العلم، ويذكرون الله ويحمدونه على ما من عليهم به منه. وهؤلاء- الذين ورد ذكرهم في الحديث- كانوا قد جلسوا يحمدون الله بذكر أوصافه وآلائه، ويثنون عليه بذلك، ويذكرون حسن الإسلام، ويعترفون لله بالفضل العظيم إذ هداهم له ومن عليهم برسوله. وهذا أشرف علم على الإطلاق، ولا يعني به إلا الراسخون في العلم؛ فإنه يتضمن معرفة الله وصفاته وأفعاله، ودينه، ورسوله، ومحبة ذلك، وتعظيمه والفرح به، وأحرى بأصحاب هذا العلم أن يباهي الله بهم الملائكة. وقد بشر النبي ﷺ الرجل الذي كان يحب سورة الإخلاص، وقال: أحبها لأنها صفة الرحمن ، فقال: **"حبك إياها أدخلك الجنة"** (رواه البخاري) وفي لفظ آخر عند البخاري ومسلم: **"أخبروه أن الله يحبه"** فدل على أن من أحب صفات الله أحبه الله وأدخله الجنة ". أهـ

19- أهل العلم المجتهدون يؤويهم الله ولا يعرض عنهم:

**ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي واقد الليثي:**" **أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر**(**[[57]](#footnote-57)) فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما: فرأى فرجة**(**[[58]](#footnote-58)) في الحلقة**(**[[59]](#footnote-59)) فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه ".**

**قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه مفتاح دار السعادة: 1/103:** "لو لم يكن لطالب العلم إلا أن الله يؤويه إليه ولا يعرض عنه لكفى به فضلا ".

20- أهل العلم يغبطون على نعمة العلم:

**الناظر إلى فضل أهل العلم في الأحاديث السابقة يجعلنا نتفهم قول النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:" لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويُعلمها"-وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما-:" رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار ".**

**قال الحافظ-رحمه الله- في الفتح:"** قوله: **"لا حسد"** أي لا رخصه في الحسد إلا في خصلتين، أو لا يحسن الحسد أن حسن، أو أطلق الحسد مبالغة في الحث على تحصيل الخصلتين ". أهـ

**قال الإمام النووي-رحمه الله-كما في" شرحه على مسلم: 6/ 97":**" وقوله ﷺ: **" لا حسد إلا في اثنتين"** قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي، ومجازي.

فالحقيقي: تمنى زوال النعمة عن صاحبها([[60]](#footnote-60)**)**، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة. وأما المجازي: فهو الغبطة، وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة. والمراد بالحديث: لا غبطة محمودة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما.

وقوله ﷺ: " فسلطه على هلكته في الحق": أي انفاقه في الطاعات.

وقوله ﷺ: " ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها" معناه: يعمل بها ويعلمها احتسابا، والحكمة: كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح. أهـ

**وقد قال مجاهد في تعريف الحكمة بأنها**:" العلم والفقه والقرآن ".

**وقال الإمام مالك-رحمه الله-**:" إنه يقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ".

**ونقل ابن القيم -رحمه الله- في كتابه" مفتاح دار السعادة:1/227"عن ابن قتيبة والجمهور**:" أن الحكمة هي إصابة الحق، والعمل به، وهي العلم النافع والعمل الصالح ".

**وقال السعدي -رحمه الله- في " تفسيره: صـ65:**" والحكمة هي العلوم النافعة والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألقاب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات، ولهذا **قال تعالى:** **﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** (البقرة: 269) ".

21- أهل العلم مدحهم النبي وأثنى عليهم:

**فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" الدنيا ملعُونةٌ، ملعُونٌ ما فِيها، إلا ذكرَ اللهِ، وما وَالاهُ، وعَالمًا أو متعلِّمًا ".** (صحيح الجامع: 3414)

22- أهل العلم العاملون به والمعلمون غيرهم، لا ينقطع أجرهم بعد موتهم:

**قال تعالى:** **﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾** (يس: 12)

**- وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ**:**" إن مما يلحقُ المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا وَرَّثَهُ، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته "**. (صحيح الجامع: 2231)

**- وأخرج البزار عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:" سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته، من علم علمًا، أو أجرى نهرًا -وفي رواية-أو كرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته ".** (صحيح الجامع: 3602).

**- وأخرج الإمام أحمد والبزار عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"** **أربعةٌ تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطًا في سبيل الله، ومن علم علمًا، أُجرى له عمله ما عُمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت، ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له ".** (صحيح الجامع: 877)

**- وفي رواية عند مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:" إذا مات الإنسان انقطع عملُهُ إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له"-وفي رواية-"إذا مات ابن آدم انقطع عملُهُ إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له ".**

**- وفي رواية عن ابن ماجه من حديث أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ:" خير ما يخلِّف الرجل من بعده: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده، وفي رواية: وعلم ينتفع به من بعده ".** (صحيح الجامع: 3326)

**وأخرج أبو سهل القطان في حديثه عن شيوخه من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:" من علمَ آيةً من كتابِ اللهِ عز وجل كانَ لهُ ثوابُها ما تليتْ ".** (السلسلة الصحيحة: 1335)

**قال النووي -رحمه الله- في " شرحه على مسلم:11/85": "قوله ﷺ:**" **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "**.

**قال العلماء:**" معنى الحديث: أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، كذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية؛ وهي الوقف. وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح، وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه، وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع، وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما، وكذلك قضاء الدين ". أهـ

**يقول عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-:**" قلت لأبي أتهجد بالليل أو اكتب العلم، فقال: اكتب العلم. فقال الحافظ الدمياطي -رحمه الله- تعليقا على كلام الإمام أحمد -رحمه الله-: وإنما قال له ذلك لأن كتابة العلم يتعدى نفعها إلى غيره فله أجره وأجر من انتفع بذلك في حياته وبعد موته أبدا، وأما التهجد فليس له إلا أجره فقط. والله أعلم ". أهـ

فالحديث السابق من أعظم الأدلة على شرف العلم وفضله، وعظم ثمرته، فإن ثوابه يصل إلى المؤمن بعد موته مادام يُنْتَفع به، فكأنه حي لم ينقطع عمله.

23- أهل العلم يسهل الله لهم طريقًا إلى الجنة:

**فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حيان عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهَّل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العَالِم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العَالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارا ولا درهما إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر".** (صحيح الترغيب والترهيب: 70)(صحيح الجامع: 6297)

**وفي رواية عند الإمام مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:** **"من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة"**. (صحيح الجامع: 6298)

**وقول النبي ﷺ: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة "** فالجزاء من جنس العمل، فكما سلك طريقا يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقا يحصل له ذلك.

في أحاديث سابقة تجد أن الملائكة تحف طالب العلم بأجنحتها، والحف بالأجنحة: حفظ وحماية وصيانة، وأما هذا الحديث (وهو وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم) فهذا يدل على تواضع وتوقير وتبجيل طالب العلم.

فتضمن هذا تعظيم الملائكة لطالب العلم وحبها إياه وحياطته وحفظه، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفا وفضلا.

**قال ابن جماعة-رحمه الله-:** واعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له وتضع له أجنحتها، وإنه لينافس في دعاء الرجل الصالح أو من يظن صلاحه فكيف بدعاء الملائكة. أهـ

كلام السلف عن فضل وشرف ومكانة العلماء:

**يقول أبو الدرداء :" العالم والمتعلم في الأجر سواء، وسائر الناس همج لا خير فيهم ".**

(أخلاق العلماء للآجري).

**- وقال أيضا :** **" مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدي بها ".** (المصدر السابق)

**- وقال عبد الله بن مسعود :" اغد عالما أو متعلما، ولا تغد بين ذلك ".**

(كتاب العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب:116)

**- وقال أيضا:"** **عليك بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله، أو قال أصحابه".**

(أخرجه الهيثمي من مجمع الزوائد: 1/126) (الطبري في الكبير: 9/170)

**- وفي رواية أخرى قال :" عليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه هلاك العلماء، فو الذي نفسي بيده ليودّن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم، وإن أحدًا لم يولد عالمًا، وإنما العلم بالتعلم ".** (مفتاح دار السعادة: 1/397)

**- وقد رُوي عن عمر أنه قال:"** **موت ألف عابد أهون من موت عَالِم بصير بحلال الله وحرامه ".**

**قال ابن القيم-رحمه الله-: في كتابه مفتاح دار السعادة 1/398"معلقًا على قول عمر:** ووجه قول عمر، أن هذا العَالِم يهدم على أبليس كل ما يبنيه بعلمه وإرشاده، وأما العابد فنفعه مقصور على نفسه .

**- وقال عون بن عبد الله: قلت لعمر بن عبد العزيز:** يُقال "إن استطعت أن تكون عالما فكن عالمًا، فإن لم تستطع فكن متعلَّمًا، فإن لم تكن متعلَّمًا فأحبهم، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم. فقال عمر بن عبد العزيز:

" سبحان الله لقد جعل الله له مخرجا ". (كتاب العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب:726).

**- وقال الحسن البصري-رحمه الله-:**" من طلب العلم يريد به ما عند الله، كان خيرًا له مما طلعت عليه الشمس ". (شرح المنة: 1/275)

**- ويقول أيضًا-رحمه الله-:**" الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء ". (جامع بيان العلم: 1/236)

**- وقال الأوزاعي -رحمه الله-:**" الناس عندنا أهل العلم، ومن سواهم فلا شيء ".

**- وكذا قال ابن المبارك -رحمه الله-** عندما سئل: من الناس؟ قال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قيل: فمن السفلة([[61]](#footnote-61)**)**؟ قال: الذي يأكل بدينه". (مفتاح دار السعادة: 1/400).

**- قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ -رحمه الله-:**

العــــالِمُ العـــــــــــــــــاقـلُ ابنُ نفسِـــه أغناه جنس علمه عن جنسه

كن ابن من شئت وكن مؤدبا فإنما المرء بفضــل كيســـه

وليس من تــُـكْرمُهُ لـــــغيره مثل الذي تكـــرمه لنفســــه

(أدب الدين والدنيا للماوردي"54")

**- وقال أبو بكر الآجري-رحمه الله-:**" العلماء في كل حال لهم فضلٌ عظيمٌ: في خروجهم لطلب العلم لهم فيه فضل، وفي مجالستهم لهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضلٌ. وفيم تعلَّموا العلم لهم فيه فضلٌ، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضلٌ. فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة نفعنا الله وإياهم بالعلم". (أخلاق العلماء للآجري"41")

**- وكذا قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-:** "عالمٌ عاملٌ معلمٌ يُدْعَى كبيرًا في ملكوتِ السماوات".

(سنن الترمذي: 2685) (تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة صـ70)

**- وقال سفيان بن عيينة-رحمه الله-:** " أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الرسل والعلماء ". (تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة صـ70) (مفتاح دار السعادة": 1\128)

**- وقال سهل بن عبد الله التستري-رحمه الله-:**" من أراد النَّظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء ". (تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة صـ71).

**- قال ابن القيم -رحمه الله- معلقًا على كلام سهل:** "هذا لأن العلماء خلفاء الرسل في أممهم، ووارثُوهم في علمهم، فمجالسهم مجالسُ خلافةِ النبوةِ ". (مفتاح دار السعادة: 1/391).

**- قال الشافعي -رحمه الله-:**" من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ".

**- وقال:**" من لا يحب العلم فلا خير فيه، فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة ".

**- وقال:**" إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولي".

**- وقال:**" ما أحد أورع لخالقه من الفقهاء ".

**- وقال المزني-رحمه الله-: سمعت الشافعي يقول:**" من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ". (المجموع للنووي: 1/42)

**-** **وقال الشافعي -رحمه الله- في ديوانه صــ153:**

رأيت العلم صاحبه كريمــــا ولــــــــــــو ولدتـــــــه آبــــــــاء لئــــــــــام

وليس يزال يرفعـــــه إلى أن يعظم أمْرهُ القــــــــــومُ الكــــــــــــــرامُ

ويتبعونه في كـــــــل حـــــــــــــال كراعي الضأن تتبعه السوام([[62]](#footnote-62)**)**

فلولا العلم ما سعدت رجال ولا عرف الحلال ولا الحـــرام

**- وقال بعضهم:**" الجاهل صغير وإن كان شيخا، والعالم كبير وإن كان حدثا ".

**- وصدق الشافعي- رحمه الله- حيث قال:**

تعلم فليس المرءُ يولدُ عالمًا وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ

وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت إليه المحافلُ

وإن صغير القوم إن كان عالمًا كبير إذا ردت إليه المحافل

(جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 1/159)

**- ويقول عبد الله بن الإمام أحمد-رحمه الله-:** قلت لأبي:" أي رجل الشافعي؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال: يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فهل لهذين من خلف؟ أو منهما من عوض؟ (سير أعلام النبلاء: 1/45).

**- يقول ميمون بن مهران-رحمه الله-:**

" العلماء هم ضالتي في كل بلد، وهم بغيتي إذا لم أجدهم، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء ".

**- ويقول أيضًا-رحمه الله-:**

" إن مثل العالِم في البلد كمثل عين عذبة في البلد ". (جامع بيان العلم وفضله: 1/237).

**- وقد قيل**:" مثل العلماء مثل الماء، حيثما سقطوا نفعوا ". (السابق: 1/257).

**- أنشد أحمد بن غزال -رحمه الله- فقال:**

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمــــها متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاث في أكنـافها التلف

(تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 2/846)

**- وقال الإمام السخاوي-رحمه الله-:**" إنما الناس بشيوخهم، فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟!

(فتح المغيث: 2/320)

**- يقول سهل بن عبد الله التُّسْتَري -رحمه الله-:**" الناس كلهم سكارى إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارى إلا من عمل بعلمه".

**- وقال أبو جعفر الطحاوي-رحمه الله-:**" كنت عند أحمد بن أبي عمران فمر بنا رجل من بني الدنيا، فنظرت إليه، وشغلت به عما كنت في المذاكرة، فقال لي أحمد بن عمران: كأني بك قد فكرت فيما أعطى هذا الرجل من الدنيا: قلت له: نعم. قال: هل أدلك على خلة؟ هل لك أن يحول الله إليك ما عنده من المال، ويحول إليه ما عندك من العلم، فتعيش أنت غنيا جاهلا، ويعيش هو عالما فقيرا؟ فقلت: ما أختار أن يحول الله ما عندي من العلم إلى ما عنده، فالعلم غنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال". (مفتاح دار السعادة: 1/507)

**- وقال حكيم:**" من اتخذ العلم لِجامًا اتخذه الناس إمامًا، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار".

**- وقال النضر بن شميل-رحمه الله-:**" من أراد أن يشرف في الدنيا والآخرة فليتعلم العلم، وكفى بالمرء سعادة أن يوثق به في دين الله ويكون بين الله وبين عباده ".

**- يقول الخطيب البغدادي-رحمه الله- في" تاريخه: 14/15":"** كان الخليفة المأمون قد وكل الفَّراء يُلَقِّنُ ابنيه النحو، فلما كان يومًا أراد الفَّراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانها له، فتنازعا أيهما يقدمها، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة، فقدماها وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع إليه ذلك الخبر، فوجه إلى الفراء، فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له؛ من أعز الناس؟ قال: ما أعرف أحدًا أعز من أمير المؤمنين، قال: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليَّا عهد المسلمين، حتى رضي كلُّ واحد منهما أن يقدم له فردة. قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما من ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، وأكسر نفوسهما عن شريفة حصلا عليها، وقد روي عن ابن عباس أنه أمسك للحسن وللحسين- رضي الله عنهما- ركابيهما حتى خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر، أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن منهما؟ قال له: اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذو الفضل. قال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك، لأوجعتك لومًا وعتبًا، وألزمتك ذنبًا، وما وَضَعَ ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وبين عن جوهرهما، ولقد ثبتت لي مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيرًا عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ووالده، ومعلمه العلم، وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما ". أهـ

**- وقال لقمان لابنه:**" يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل السماء ".

**- وقال ابن القيم -رحمه الله-:**" من نال شيئًا من شرف الدنيا والآخرة فإنما ناله بالعلم. وتأمل ما حصل لآدم من تمييزه على الملائكة واعترافهم له بتعليم الله له الأسماء كلها، ثم ما حصل له من تدارك المصيبة والتعويض عن سكنى الجنة بما هو خير له منها بعلم الكلمات التي تلقاها من ربه.

وما حصل ليوسف من التمكين في الأرض والعزة والعظمة بعلمه تعبير تلك الرؤيا، ثم علمه بوجوه استخراج أخيه من إخوته كما أشار إليه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾** (يوسف: 76) جاء في تفسيرها: نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته بالعلم.

وقال في إبراهيم ﷺ: **﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء﴾** (الأنعام: 83) فهذه رفعة بعلم الحجة، والأول رفعة بعلم السياسة.

وكذلك ما حصل للخضر بسبب علمه من تلمذة كليم الرحمن له وتلطفه معه في السؤال حتى قال: **﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾** (الكهف: 66)

وكذلك ما حصل لسليمان من علم منطق الطير حتى وصل إلى ملك سبأ وقهر ملكتهم واحتوى على سرير ملكها، ودخولها تحت طاعته، ولذلك قال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾** (النمل: 16)

وكذلك ما حصل لداود من علم نسج الدروع من الوقاية من سلاح الأعداء، وعدد سبحانه هذه النعمة بهذا العلم على عباده فقال: "وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ". (الأنبياء: 80)

وكذلك ما حصل للمسيح من علم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ما رفعه الله به إليه وفضله وكرمه.

وكذلك ما حصل لسيد ولد آدم ﷺ من العلم الذي ذكره الله به نعمة عليه، فقال: **﴿وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾** (النساء: 113) (مفتاح دار السعادة: 1/521)

**- وقال ابن القيم أيضًا -رحمه الله-:** " العلماء بالله وأمره هم حياة الوجود وروحه، ولا يستغنى عنهم طرفة عين، فحاجة القلب إلى العلم ليس كالحاجة إلى التنفس في الهواء بل أعظم، وبالجملة فالعلم للقلب مثل الماء للسمك إذا فقده مات، فنسبة العلم إلى القلب كنسبة ضوء العين إليها ". أهـ (المصدر السابق)

فمن نال العلم فقد نال شرف الدنيا والآخرة، ومن أقبل عليه واغترف منه، فقد أراد الله به الخير.

كما جاء في البخاري ومسلم عن معاوية أن النبي ﷺ قال: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

فرحم الله من تسابق أبناء الملوك إلى تقديم نعالهم، ولهم في الآخرة مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

رحم الله من كانت حياتهم عسلًا مصفى، وكاملًا موفى، وغدت الأحاديث عنهم حوافز، واستماع أخبارهم متعًا ولذائذ.

ثانيًا: فضل شرف أهل الحديث

**قال الخطيب البغدادي-رحمه الله- في شرف أصحاب الحديث:**

" وقد جعل الله- تعالى- أهل الحديث أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة. فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته. أنوراهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة.

وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيًا تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول قدوتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء. يقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليهم والعدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته.

إذا أختلف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع. ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه. وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة. وقارئ متقن، وخطيب محسن. وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم.

وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح - بغير مذاهبهم –لا يتجاسر، من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذله الله. لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم. المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير، **﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾** (الحج: 39)". أهــ (شرف أصحاب الحديث صــ 8)

**وقال أبو بكر الهذلي -رحمه الله-:** قال لي الزهري:" يا هُذلي! أيعجبك الحديث؟ قال: قلت: نعم، قال: أما إنه يعجب ذكور الرجال، ويكرهُهُ مؤنثوهم ". (شرف أصحاب الحديث صــ70)

**وأنشد أبو الفضل العباس بن محمد الخراساني:**

رحلت أطلب أصل العلم مجتهدًا وزينة المرء في الدنيا الأحاديث

لا تعجبن بمــــــال سوف تتركه فـــــإنما هــــــذه الدنيـــــــا مـــــــــــــواريث

(شرف أصحاب الحديث صـ71) (الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي صــ96)

**ولأهل الحديث فضائل كثيرة منها عل سبيل المثال:**

1- أهل الحديث هم الطائفة المنصورة:

**فقد أخرج البخاري عن معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي ﷺ قال:" لايزال ناس من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ".**

**قال علىّ بن المديني عند قول النبي ﷺ:**" **لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم "**: هم أهل الحديث والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ويذبون عن العلم. لولاهم لم تجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأي شيئًا من السنن. (المصدر السابق صــ 10)

**وروى الحاكم بإسناده عن أحمد بن حنبل وقد سُئل عن معنى هذا الحديث فقال:**" إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدرى من هم ". (معرفة علوم الحديث صـ2)

2- أصحاب الحديث أولى الناس بالرسول-صلى الله عليه وسلم- لدوام صلاتهم عليه:

**فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة علىّ "**. (صحيح الترغيب والترهيب: 1668) (شرف أصحاب الحديث صــ 26)

وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله ﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخًا وذكرًا.

**وأخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدًا عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:**" **من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام أسمي في ذلك الكتاب** ".(ضعيف جدًا) (المصدر السابق صــ 36)

**وقال أحمد بن يونس:** سمعت سفيان الثوري يقول: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله ﷺ فإنه يصلى عليه مادام في الكتاب". (المصدر السابق صــ 36)

3-أصحاب الحديث ورثة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما خلفه من السنة وأنواع الحكمة:

**قال سليمان بن مهران:" بينما ابن مسعود يومًا، مع نفر من أصحابه إذ مر أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ، يقسمونه ".** (المصدر السابق صــ 45)

**وقال يونس بن عبد الأعلى:**" سمعت الشافعي يقول: إذا رأيت رجلًا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت النبي ﷺ حيًا ". (المصدر السابق صــ 46)

4-أصحاب الحديث أمناء الرسول -صلى الله عليه وسلم- لحفظهم السنن وتمييزهم لها:

**قال عبد الله بن داود الخريبى:**" سمعت من أئمتنا ومن فوقنا: أن أصحاب الحديث وحملة العلم هم أمناء الله على دينه وحفاظ سنة نبيه ما علموا، وعملوا ". (المصدر السابق صــ 43)

**وقال أبو أحمد الدلال:**" سمعت كَهْمَس الهمداني يقول: ومن لم يتحقق أن أهل الحديث حفظة الدين، فإنه يعد في ضعفاء المساكين، الذين لا يدينون الله بدين، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾**

(الزمر: 23) (المصدر السابق صــ 44)

5-وهم المدافعون عن الدين وحرّاسه:

**قال أبو بكر بن عياش:**" فقد جعل رب العالمين، الطائفة المنصورة حراس الدين، وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين، واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين، فشأنهم حفظ الآثار، وقطع المفاوز والقفار، وركوب البراري والبحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى، لا يعرجون عنه إلى رأى ولا هوى، قبلوا شريعته قولًا وفعلًا، وحرسوا سنته حفظًا ونقلًا، حتى ثبتوا بذلك أصلها وكانوا أحق بها وأهلها، وكم من ملحد يرون أن يخلط بالشريعة ما ليس منها. والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانها والقوامون بأمرها وشأنها. إذا صدف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون. **﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.** (المجادلة: 22)

6- هم حماة الدين بذبهم عن السنن:

**قال قبيصة:**" سمعت سفيان الثوري يقول: الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض ". (المصدر السابق صــ 44)

**ويقول** **صالح بن حاتم بن وردان:**" سمعت يزيد بن زريع يقول: لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد ". (المصدر السابق صــ 44)

7- إذا اجتمع أهل الحديث على حديث فهو حجة على الناس:

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في" مجموع الفتاوي: 1/9":"** إذا اجتمع أهل الفقه على القول بحكم لم يكن إلا حقًا، وإذا اجتمع أهل الحديث على تصحيح حديث لم يكن إلا صدقًا ".

8- لولا أهل الحديث لا ندرس الإسلام:

**قال صدقة:**" كنا عند حفص بن غياث فاجتمع عليه الناس، فقال حفص: لولا أن الله جعل الحرص في قلوب هؤلاء – يعنى طلبة العلم- لدُرِس هذا الشأن ". (المصدر السابق صــ 52)

**وقال عبد الحميد بن حميد:**" سمعت أبا داود يقول: لولا هذه العصابة لأ ندرس الإسلام – يعنى أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار". (المصدر السابق صــ 52)

**وقال شعيب بن حرب:**" كنت عند عبد العزيز بن أبى رواد فنظر إلى شاب قد أقبل نحوه للحديث فقال: أما ترى ما في يده قناديل الإسلام؟ هذه قناديل الإيمان، وأعلام المتقين – يعنى قارورة الحبر- ". (المصدر السابق صــ 54)

9-أصحاب الحديث خيار الناس:

**قال حمزة بن سعيد المروزي:**" رأيت أبا بكر بن عياش يضرب ساعد يحيى بن آدم فقال: ما قوم خير من أصحاب الحديث، إن أحدهم ليسألني عن الحديث كذا وكذا مرة، ولوشاء لقال: حدثني أبو بكر بن عياش ".

(المصدر السابق صــ 47)

**وقال الوليد بن مسلم:**" شيَّعَنا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده، فأبعد في تشييعنا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة، فقلنا له: أيها الشيخ! يصعب عليك المشي على كبر السن؟ قال: امشوا واسكتوا لو علمتُ أن لله طبقةً أو قومًا يباهى الله بهم أو أفضل منكم لمشيتُ معهم وشيعتُهم ولكنكم أفضل الناس ".(المصدر السابق صــ 48)

10- أصحاب الحديث هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر:

**عن سعيد بن عباس قال:**" سئل إبراهيم بن موسى من الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟

قال: نحن هم، نقول: قال رسول الله ﷺ افعلوا كذا، وقال رسول الله ﷺ لا تفعلوا كذا ". (المصدر السابق صــ 10)

10- أهل الحديث جازوا شرف الدنيا وكرامة الأخرة:

**قال أبو صالح علىّ بن الحسن بن إسحاق: سمعت سهل بن عبد الله الزاهد يقول:**" من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث، فإنه فيه منفعة الدنيا والآخرة ".

**وعن زيد بن أخرم قال: سمعت عبد الله بن داود قال في الحديث:"** من أراد به الدنيا فدنيا، ومن أراد به الآخرة فآخرة ". (المصدر السابق صــ 61)

**وعن عبد الله بن داود يقول: سمعت سفيان الثوري يقول:"**سماع الحديث عز لمن أراد به الدنيا، ورشاد لمن أراد به الآخرة ". (المصدر السابق صــ 62)

**وفي لفظ آخر:**" إن هذا الحديث عز فمن أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الأخرة وجدها ".

فضل الإسناد وأنه مما خص اللهُ به هذه الأمة

**قال مطر في قوله تعالى:** **﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾** (الأحقاف: 4) قال:" إسناد الحديث".(شرف أصحاب الحديث صــ 39)

**وعن مالك في قوله:** **﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾** (الزخرف: 44) قال:" قول الرجل: حدثني أبي عن جدي ".

(المصدر السابق صــ 39)

**وعن صالح بن أحمد الحافظ قال:** سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول:" بلغني أن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب ". (المصدر السابق صــ 40)

**وروى مسلم في مقدمة صحيحة عن ابن سيرين -رحمه الله-أنه قال:**" لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم فينظر أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ".

1- بشارة النبي- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه واتصال الإسناد بينهم وبينه:

**عن ثابت بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ:" تسمعون ويسمع منكم، ويسمع من الذين يسمعون منكم . ثم يأتي من بعد ذلك قوم سمان يحبون السمن يشهدون قبل أن يسألوا ".** (المصدر السابق صــ 38)

**وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:**" **تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم ".**

(المصدر السابق صــ 38)

**وقال إسحاق بن راهوية:**" كل مسألة تروى عن ثلاثة فهي أثر لقول النبي ﷺ**:" تسمعون ويسمع منكم، ويسمع ممن يسمع منكم ".** (المصدر السابق صــ 38)

2- الحديث سبيل إلى معرفة الأحكام الشرعية:

**قال عبد الله بن المبارك:**" الإسناد من الدين ". (أخرجه مسلم في المقدمة:1/ 120)

**وقال:**" لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ". (تاريخ بغداد:6/266)

**وعن إبراهيم بن معدان يقول: قال ابن المبارك:**" مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم ". (شرف أصحاب الحديث صــ 41)

**وعن عبد الصمد بن حسان قال:** **سمعت سفيان الثوري يقول:**" الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟". (المصدر السابق صــ 42)

ومدارسة الأسانيد تميز صحيح الحديث من سقيمه، فإن الأحكام العملية والعلمية تقوم على الصحيح ولا تثبت بالسقيم سواء كان ضعيفًا أوما دونه وذلك بالإجماع.

**ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية: 4/11:**

" الإسناد من خصائص هذه الأمة وهو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة، والرافضة من أقل الناس عناية به، إذ كانوا لا يصدقون إلا بما يوافق أهواءهم، وعلامة كذبه أنه يخالف هواهم، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدى: أهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا مالهم ".

وتتمة للفائدة نذكر خطر الطعن في العلماء، والنيل منهم([[63]](#footnote-63)**)**:

**يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله- في عقيدته:**

" وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين-أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر-لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء، فهو على غير السبيل ". أهـ (شرح العقيدة الطحاوية –تحقيق الارناؤوط: 2/740).

**ويقول عكرمة -رحمه الله-:**" إياكم أن تؤذوا أحدًا من العلماء، فإن من آذى عالمًا فقد آذى رسول الله ﷺ.

**وقال ابن المبارك-رحمه الله-:**" من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته ". (سير أعلام النبلاء: 8/408).

**وقال أبو سنان الأسدي-رحمه الله-:**" إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس؛ متى يفلح؟! ". (ترتيب المدارك: 2/14)

**وقال الإمام أحمد بن الأذرعي -رحمه الله-:**" الوقيعة في أهل العلم ولاسيما أكابرهم من كبائر الذنوب ". (الرد الوافر صـ197)

**وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول:**

" كفى بالمرء شرًا ألا يكون صالحًا، وهو يقع في الصالحين". (شعب الإيمان للبيهقي: 5/316)

**وروي عن الإمام أحمد أنه قال:**" لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها مات". (المعيد في أدب المفيد والمستفيد صـ71)

**وكما قيل:**

لحوم أهل العلم مسمومــة ومن يعاديهم سريع الهلاك

فكن لأهل العلم عونًا، وإن عاديتهم يومــًا فخذ ما أتــاك

**قال الحافظ ابن عساكر -رحمه الله- تعالى:**

" واعلم يا أخي- وفقنا الله وإياكم لمرضاته، وجعلنا من يخشاه ويتقيه حق تقاته – أن لحوم العلماء- رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لِنَعش العلم خلق ذميم ".(تبين كذب المفتري صـ28).

عاقبة وشؤم من يطعن في العلماء:

1- استجلب بفعله أخبث الأوصاف:

**قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** (الحجرات:11)

فكل من طعن في العلماء فقد استجلب لنفسه أخبث الأوصاف واتصف بأنه لمّاز، وظالم، وفاسق.

**يقول ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: 3/402:**

" ينهى الله- تعالى- عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرًا عند الله- تعالى- وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له ". أهـ باختصار وتصرف.

**وأخرج الطبراني في المعجم الكبير بسند فيه مقال من حديث أبي أسامة : قال: قال رسول الله ﷺ:**

**" ثلاث لم يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط ".**

2- من طعن في العلماء فهو من شرار الخلق بشهادة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

**ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم عن النبي ﷺ قال:" خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء**([[64]](#footnote-64)**) العنت**([[65]](#footnote-65)**).**

3- من عادى العلماء وطعن فيهم فهو عرضة لحرب الله - تعالى- عليه:

**فقد جاء في الحديث القدسي:" من عادى لي وليًا، فقد آذنته بالحرب ".** (رواه البخاري)

4- متعرض لاستجابة دعوة العالِمِ المظلوم عليه:

فدعوة المظلوم- ولو كان فاسقًا- ليس بينها وبين الله حجاب، فكيف بدعوة ولي الله الذي قال الله عنه:**" ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه".** (رواه البخاري)

**- قال الإمام الحافظ أبو العباس الحسن بن سفيان لمن أثقل عليه:**" يا هذا، قد احتملتك وأنا ابن تسعين سنة، فاتق الله في المشايخ، فربما استجيبت فيك دعوة. (سير أعلام النبلاء: 14/159).

- ولما أنكر السلطان على الوزير نظام الملك صرف الأموال الكثيرة في جهة طلب العلم، أجابه:" أقمت لك لها جندًا لا ترد سهامهم بالأسحار، فاستصوب فعله، وساعده عليه ". (انظر تحفة الطالبين صـ115).

5- الطاعن في العلماء يتبرأ من فعله النبي -صلى الله عليه وسلم-:

**فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ:**

**" ليس من أمتي-وفي رواية: ليس منا من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويَرْحَم صغيرنا، ويعرف لِعَالِمنَا حقَّه ".** (صحيح الجامع: 5443)

6- الطاعن في العلماء غير معظم لله -عز وجل-:

**فقد أخرج أبو داود عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن؛ غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط ".**(صحيح الجامع: 2199)

ومفهوم المخالفة للحديث أن من وقع في هؤلاء وأنتقض من حقهم فهو غير معظم لله وغير مجلٍّ له، ومن لم يجلّ الله- تعالي- فهو وطرود، مخذول، محروم، معاقب.

7- سيعاقب من جنس فعله:

وقد حُكِىَ أن رجلًا كان يجرئ تلامذته على الطعن في العلماء وإهانتهم، وذات يوم تكلم بكلام لم يرق أحد تلامذته، فقام إليه فصفعه على رؤوس الأشهاد، وتلا قوله تعالى: **﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾** (الأنفال:51).

**وصدق خالد بن زهير الهذلي حيث قال:**

فلا تَجزعَنْ من سُنَّة أنت سِرْتَها فأولُ راضٍ سنةً مَن يَسيرُها

8- الطاعن في العلماء سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها:

الخائض في أعراض العلماء ظلمًا وعدوًا إن حُمل عنه ذلك، واقتُدى به فيه، فقد سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، والدال على الشر كفاعله، والسعيد من إذا مات ماتت معه سيئاته.

**قال تعالى:** **﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَاَرَهُمْ﴾** (يس: 12). **وصدق القائل حيث قال:**

وما مـــــن كاتـب إلا سيــلقى غداة الحشر ما كتبـت يداهُ

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تـــــراهُ

9- الطاعن في العلماء يعاقب بموت القلب:

**يقول مخلد-رحمه الله-:"**حدثنا بعض أصحابنا قال:" ذكرت يومًا عند الحسن بن ذكوان رجلًا بشيء، فقال: "مَهْ! لا تذكر العلماء بشيء، فيميت الله قلبك ".

**ويقول ابن عساكر-رحمه الله-:"** ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلْب؛ ابتلاه الله قبل موته بموت القلب،

**﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (النور: 63)

من مخاطر الطعن في العلماء:

1- أن القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من الشرع والدين:

ولهذا أطبق العلماء على أن من أسباب الإلحاد: " القدح في العلماء "

لما استهزأ رجلٌ من المنافقين بالصحابة- رضي الله عنهم- قائلًا: "ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب حديثًا، ولا أجبن عند اللقاء" **فأنزل الله تعالى**: **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾** (التوبة: 55-65) (انظر تفسير الطبري: 14/333)

**قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد -رحمه الله-:**

" بادرة ملعونة.. وهي تكفير الأئمة: النووي، وابن دقيق العيد، وابن حجر العسقلاني، أو الحط من أقدارهم، أو أنهم مبتدعة ضُلَّال، كل هذا من عمل الشيطان، وباب ضلالة وإضلال، وفساد وإفساد، وإذا جرح شهود الشرع جرح المشهود به، لكن الأغرار لا يفقهون ولا يتثبتون ". (تصنيف الناس بين الظن واليقين صـ94).

2- التسبب إلى تعطيل الانتفاع بعلمهم:

فالنبي ﷺ نهى عن سب الديك لأنه يدعو إلى الصلاة، فقال ﷺ: **" لا تسبوا الدِّيك فإنه يوقظ للصلاة ".** (رواه الإمام أحمد وأبو داود)

فكيف يستبيح قوم إطلاق ألسنتهم في ورثة الأنبياء الداعين إلى الله ، والذي قال عنهم رب العالمين في كتابه الكريم:**﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾** (فصلت: 33)

**وقد مر بنا قول الإمام السخاوي -رحمه الله- حيث قال:**

" إنما الناس بشيوخهم، فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟! ". (فتح المغيث: 2/320)

**وبعد...**

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله– تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

|  |  |
| --- | --- |
| وإن وجدت العيب فسد الخللا | جلّ من لا عيب فيه وعلا |

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**

1. - يقال رجل زامل: يعني يزمل غيره، أي يتبعه. [↑](#footnote-ref-1)
2. - وعطاء هو أبو محمد، وكان مفلفل الشعر، أسود، أفطس، أشل، أعور، ثم عمى، وكان مولى فِهْرٍ، أو جُمَحٍ ٍ. [↑](#footnote-ref-2)
3. - باقلاة: مفرد الباقلاء، والباقلي: هو الفول. [↑](#footnote-ref-3)
4. - قال في اللسان: "الوقص بالتحريك: قِصرُ العنق، كأنما رد في جوف الصدر، وهو أوقص، وامرأة وقصاء" [لسان العرب (مادة وقص) صــ 4892]. [↑](#footnote-ref-4)
5. - زوجان: أي فرخان من الحمام، وذلك من بروز منكبيه. [↑](#footnote-ref-5)
6. - السوام: جمع سائمة وهي الأغنام وغيرها. [↑](#footnote-ref-6)
7. - الحرور: شدة الحر ووهجه نهارًا كان أو ليلًا [↑](#footnote-ref-7)
8. - يقصد حديث النبي ﷺ "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها" (رواه مسلم من حديث زيد بن أرقم ) [↑](#footnote-ref-8)
9. -وقوله "طاعتهم- أي العلماء- أفرض من طاعة الأمهات والآباء: هذا فيما يتعلق بأمر العلم لا مطلقًا كما ذكره بعض الشافعية (انظر غذاء الألباب للسفاريني: 1/338) [↑](#footnote-ref-9)
10. - ذهب بعض أهل العلم كالشافعي -رحمه الله- إلى أن المقصود بالحكمة هي السُّنة. وقال الطبري في تفسيره:3/210: الحكمة هي السنن والفقه في الدين

    لأن الله تعالى ذكر الحكمة في عدة مواضع مقرونة بالكتاب العزيز في مثل قوله تعالى:" وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ" (البقرة: 231)، وقوله تعالى:" وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا " (الأحزاب: 34)

    وقوله تعالى:" وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيما " (النساء: 113) [↑](#footnote-ref-10)
11. - نينان البحر: جمع نون، وهو الحوت، يعني أسماك البحر [↑](#footnote-ref-11)
12. - الغالين: المتشددين. [↑](#footnote-ref-12)
13. - انتحال المبطلين: ادعاءات أهل الباطل وزورهم. [↑](#footnote-ref-13)
14. - أو نفسه: شك من الراوي. [↑](#footnote-ref-14)
15. - الحيتان: جمع حوت، وهو العظيم من السمك، وهو مذكر، قال تعالى:" فالتقمهُ الحوت" (الصافات:42) [↑](#footnote-ref-15)
16. - الحظ: النصيب، والمعنى: أخذ نصيبًا وافرًا، أي: تامًا لا حظ أوفر منه. [↑](#footnote-ref-16)
17. - الحِنْدِسُ: الظُّلْمَةُ، وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة [لسان العرب(حندس) صـ1020] [↑](#footnote-ref-17)
18. - المُحَاقُ والمِحَاقُ: آخر الشهر إذا أمَّحَقَ الهلالُ فلم ير، والمحاق أيضًا أن يستسر القمر ليلتين فلا يرى غدوة ولا عشية. [↑](#footnote-ref-18)
19. - والحديث أخرجه البخاري واللفظ له ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله **ﷺ**: إن الله تعالى قال: "من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني، لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ". [↑](#footnote-ref-19)
20. - ثلمة: الكسر والخلل في الحائط [↑](#footnote-ref-20)
21. - يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ: أي يأخذ أهل الخير والدين. [↑](#footnote-ref-21)
22. - عَجَاجَةٌ: هم الأراذل من الذين لا خير فيهم. [↑](#footnote-ref-22)
23. - وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ: أي أن الفاحشة لا تقتصر على الصغار، بل تتفشى حتى تصل إلى الكبار وتدب فيهم، والمراد بالفاحشة: الزنا. والله أعلم [↑](#footnote-ref-23)
24. - قَالَ زَيْدٌ: "وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ": أي: إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ. [↑](#footnote-ref-24)
25. - قال الحافظ في "الفتح"(11/252): "وقال الخطابي: "الحفالة" (بالفاء وبالمثلثة): الرديء من كل شيء، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردأه. وقال ابن

    التين: الحثالة: سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير... وغيرهما. وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغربلة، ويبقى من التمر بعد الأكل". وقال الحافظ -رحمه الله- في "الفتح": وقد وجدتُ لهذا الحديث شاهدًا من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ: " تذهبون، الخيِّر فالخيِّر، حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثالة التمر، ينزو بعضهم على بعض نزْو المعز". [↑](#footnote-ref-25)
26. - في رواية البخاري الموقوفة: "لا يعبأ الله بهم شيئًا"، وهي كقوله ﷺ في حديث عياض بن حمار المجاشعي: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم" والله أعلم. وفي هذا الحديث دليل أن موت الصالحين من أشراط الساعة. وهذا واضح لا يُخْفى. [↑](#footnote-ref-26)
27. - حُثَالَة: الرديء من الشيء. كما مر بنا [↑](#footnote-ref-27)
28. - مَرِجَتْ: اختلطت. [↑](#footnote-ref-28)
29. - البرد: ثوب مخطط، وهو أيضا كساء من الصوف الأسود يلتحف به. [↑](#footnote-ref-29)
30. - واقنوهم: يعني علموهم-كما قال الحكم "أحد رواة الحديث". [↑](#footnote-ref-30)
31. - يحترف: أي يعمل في حرفة معينة. [↑](#footnote-ref-31)
32. - الهدى: هي الدلالة الموصلة إلى المطلوب [↑](#footnote-ref-32)
33. - العلم: معرفة الأدلة الشرعية. [↑](#footnote-ref-33)
34. - الغيث: المطر الذي يأتي عند الاحتياج إليه [↑](#footnote-ref-34)
35. - نقية: طيبة [↑](#footnote-ref-35)
36. - قبلت الماء: أي شربته [↑](#footnote-ref-36)
37. - الكلأ: نبات الأرض، رطبا كان أم يابسا [↑](#footnote-ref-37)
38. - العشب: النبات الرطب، فعطفه عليه من باب عطف الخاص على العام. [↑](#footnote-ref-38)
39. - أجادب: جمع جدب، وهي الأرض الصلبة التي لا تشرب الماء ولا تنبت الكلأ، وقيل هي الأرض التي لا نبات بها، مأخوذ من الجدب وهو القحط. [↑](#footnote-ref-39)
40. - قيعان: بكسر القاف جمع قاع، وهي الأرض المستوية الملساء، وقيل: التي لا نبات فيها، وهو المراد هنا. فذلك: النوع الأول. [↑](#footnote-ref-40)
41. - فقه: أي: صار فقيها، بفهمه شرع الله -عز وجل-. [↑](#footnote-ref-41)
42. - من لم يرفع بذلك رأسًا: كنايةٌ عن شدة الكِبْر والأنفة عن العلمِ والتعلمِ. [↑](#footnote-ref-42)
43. - الخير عادة: أي المؤمن الثابت ينشرح صدره للخير فيصير له عادة. [↑](#footnote-ref-43)
44. - الشر لجاجة: أي الشر لا ينشرح له صدر المؤمن ولا يدخل قلبه إلا بلجاجة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء. واللجاجة: الخصومة [↑](#footnote-ref-44)
45. - آذنتُه: أعلمته [↑](#footnote-ref-45)
46. - نَضَّرَ: بتشديد الضاد المعجمة وتخفيفها، حكاه الخطابي، ومعناه: الدعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة والحسن، فيكون تقديره جمله الله وزينه، وقيل غير ذلك. [↑](#footnote-ref-46)
47. - يُغلُّ: قال ابن الأثير -رحمه الله-: هو من الإغلال، الخيانة في كل شيء.

    ويروى: يَغِلُّ بفتح الياء من الغل والحقد والشحناء، أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق. وروى: يغل بالتخفيف: من الوغول: الدخول في الشر.

    والمعنى: أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: 3/381)

    وقال الألباني: "قوله: "لا يغل" يروى بفتح الياء وضمها، فمن فتح جعله من الغل، وهو الضغن والحقد، يقول: لا يدخله حقد يزيله عن الحق، ومن ضم جعله من الخيانة، والإغلال: الخيانة في كل شيء، كذا في "الكواكب الدراري" لابن عروة الحنبلي:1/223" (صحيح الترغيب والترهيب:1/40) [↑](#footnote-ref-47)
48. - وقوله "بلغوا عني ولو آية" أي: واحدة، ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ. [↑](#footnote-ref-48)
49. - وقوله "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار. (فتح الباري: 6/575) [↑](#footnote-ref-49)
50. 3- وقوله " فليتبوأ " أي: فليتخذ لنفسه منزلا، يقال: تبوَّأ الرجلُ المكان إذا اتخذه سَكَنًا، وهو أمر بمعنى الخبر، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكُّم، أو دعاء على فاعل ذلك، أي: بَوَّأه الله ذلك. (فتح الباري:1/243) [↑](#footnote-ref-50)
51. - "يَدُوكُونَ" بمهملة مضمومة ٍأي: باتوا في اختلاط واختلاف، والدوكة بالكاف الاختلاط. [↑](#footnote-ref-51)
52. - "حتى يكونوا مثلنا"، أي: حتى يسلموا. [↑](#footnote-ref-52)
53. - وقوله ﷺ "على رِسْلِكَ" بكسر الراء، أي: على هيئتك. [↑](#footnote-ref-53)
54. - وقوله "حُمْرُ النَّعَمِ" بسكون الميم من حمر، وبفتح النون والعين المهملة، وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل: المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل: تقتنيها وتمتلكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها. (انظر فتح الباري :7/545). [↑](#footnote-ref-54)
55. - وقوله " لم أستحلفكم تهمة لكم" قال النووي -رحمه الله-: هي بفتح الهاء وإسكانها، وهي فُعْلَةٌ وفُعَلَةٌ من الوهم، والتاء بدل الواو، واتَّهمتُه به إذا ظننت به ذلك. [↑](#footnote-ref-55)
56. - وقوله " إن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة" معناه: يظهر فضلكم لهم، ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم، وأصل البهاء الحسن والجمال، وفلان يباهي بماله أي يفخر، ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم. (شرح النووي على مسلم:17/23) [↑](#footnote-ref-56)
57. - النفر: عدة رجال من الثلاثة إلى العشرة. [↑](#footnote-ref-57)
58. - الفرجة: فراغ بين شيئين. [↑](#footnote-ref-58)
59. - الحلقة: كل مستدير خالي الوسط. [↑](#footnote-ref-59)
60. - استدرك الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-على هذا التعريف فقال: "الحسد هو كراهة ما أنعم الله به على العبد، وليس هو تمني زوال نعمة الله على الغير، بل هو مجرد أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره، فهذا هو الحسد، سواء تمنى زواله، أو أن يبقى ولكنه كاره له" (كتاب العلم صــ71) [↑](#footnote-ref-60)
61. - السَّفلَةُ: السُّقاطُ من الناس، يقال: فلان من سِفلة القوم إذا كان من أراذلهم. [↑](#footnote-ref-61)
62. - السوام: جمع سائمة وهي الأغنام وغيرها. [↑](#footnote-ref-62)
63. - انظر" حرمة أهل العلم صــ319- 326" لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم -حفظه الله- [↑](#footnote-ref-63)
64. - الرجل النقي التقي [↑](#footnote-ref-64)
65. - العيب [↑](#footnote-ref-65)